بحيرة الأموات

الكتاب : بحيرة الأموات

الكاتب : مجموعة مؤلفين

تصميم الغلاف : محمد محسن

تنسيق داخلي : يوسف الفرماوي

الطبعة : الأولى ٢٠٢٠

رقم الإيداع: 3263/ 2020

الترقيم الدولي : 978-977-6783-36-2

الناشر : السعيد للنشر والتوزيع

المدير العام : لمياء السعيد

برج الهادي – الدور الأول - 36 ش عبد الحميد الديب – شبرا مصر

0222017260 – 01550096215

elsaidpublisher@gmail.com

جميع الحقوق محفوظة للناشر

بحيرة الأموات

تأليف

مجموعة مؤلفين

صيحة استغاثة

ستار كحلي قصير مخرم تهدهده رياح تتسلل من نافذة موارية مساعدة ضوء عمود الإنارة الذي يقابلها كمتغزل يرسل لها قبلة هوائية من الهروب من الظلام الحالك، تداعب صفحات كتاب يستند على طاولة مصدرة تفقيع في الغرفة مخترقة الصمت كسكين حاد مسببا اختلال توازنه، ينطلق بعدها صراخ حاد لامرأة مساندا الأوراق ليجثي الصمت على ركبتيه، كأن أحدا يحاول خنقها صراخ يتسرب في الأرجاء كفيضان يؤازره صرصور ليل يختبئ في احدى زوايا المنزل، لتبتر كل هذا دقة عقارب الساعة تنزوي في بداية الممر وكأنها تختبئ من الصراخ المزعج معلنة دخول الساعة الرابعة فجرا، تقارن مع عبور الغيوم وكأنها ستار مسرح ينزاح ليظهر قمرا مكتملا تحيطه نجومه ناشرين ضوئهم بين جنود الظلام التي تتلاحم مفرقا ترابطهم، ككل يوم لا يصوم كثيرا عن الضوء فمغرب النهار يأتي لامحالة، فما هي إلا ساعات ولبت الخيوط الذهبية النداء للمؤازرة مداعبة ذرات الغبار التي تأتي في طريقها، صدْع هذه المداعبة الغير شرعية قلقلة مفتاح الأدب في قفله ليفتح الباب وتبرز من خلفه يد أحدهم تدفع حقيبة ملابس للداخل، وتبعها دلف صاحبها وامرأة وطفلان يتقفزان في ردهة المنزل وضحكتهما كنوته موسيقية لفيلم مجهول التصنيف، يتزامن مع صعود والدتهم مع الحقائب لأعلى، عند وصولها لبداية الممر تتوزع الغرف على الجانب الأيمن ثلاث غرف اثنان كبيرتان تتوسطهما صغيرة عندما دلف لها لم تكن مرممة وخربشة الأطفال على جدرانها تراجعت وأغلقت بابها وأكمل عملها في الغرف الاخرى وزعت حاجياتها وحاجيات أطفال وهي في خوض ترتيب ملابس أطفالها في الخزانة بدأ عقلها بتحليل كمحقق مغيب لا يملك الأدلة منزل بهذا الجمال والتصميم وثمنه بخس!! ابتسمت بطرف شفتيها وأغمضت عينيها وهي تحمد ربها لحصولها على منزل كهذا، سيناريو معتاد لإنسان قد انتقل لمنزل جديد كما تعلمون روتين متكرر كتصديق فتاة حمقاء لحبيبها الخائن، إلا أن أجْتَثَّ هذا التكرار بالتعب المعتاد الذي أعلن وصوله عند الساعة التاسعة إلا ربع ليُقِل معه الطاقة والنشاط إلى السجن وخروجهم لا يتم إلا بكفالة الراحة، شنَّ الليل غارة قوية على المكان لإعادة جبروته والسيطرة مرة أخرى عندما أطفئ ضوء المنزل وأحيل كل قانطيه إلى النوم هامًا مداعبة جفونهم الخائنة الذي كانت تنتظر الغزو، لكن كالعادة ينام كل من في المنزل بعمق فيفصل قابس حواسهم، إلا الأم غارت عينيها بسرعة عندما سمعت دبيب أقدام، استدارت تبحث عن زوجها لتجده يغط في سبات عميق، ظنت أنه أحد أطفالها قد ذهب للحمام بدأ الدبيب يقترب ليتوقف فجأة عند باب غرفتها الموارب لتنتفض بسرعة مزيحةً الغطاء نحو الباب في محاولة لإمساكه بجرم هروبه المشهود من الغرفة، لتتفاجأ بخلو الممر من أي تحركات بشرية برزت من الغرفة متجهة نحو غرفة أطفالها التي تتربع في نهاية الممر الذي يرتدي قرط لمبة في وسطه مصدرا منبثق ضوء مائلا للحمرة، في مرحلة تحركها تجاوزت الغرفة الوسطى موارية الباب لتدلف غرفة أطفالها بسرعة، العجيب أن أطفالها نائمين لا دليل لوجود أثر على استيقاظهم، استدارت مستعدة للخروج و ما إن عبرت قفص الباب انطلق صوت بكاء طفل صغير انتشر صداه في الممر تيبست في موقعها، جحظت عيناها،

ازدرت لعابها وصدمتها استلمت القيادة لتعطى الأوامر لرجليها بالتراجع لحماية ظهرها مرت ثواني وكأنها سنوات وبدأ البكاء يخفت تدريجيا ليلاحقه دبيب نفس الأقدام ثم عاد الصمت لكرسي الحكم الصوتي، حاولت التحرك والصراخ باسم زوجها لكن الصدمة كانت قد قامت بتصليب حركتها حاولت إذابتها بالزفير لكن فوجئ زفيرها بصدمة أخرى، فتح باب الغرفة الصغيرة بقوة وهبت منه رياح قوية هنا الخوف سيطر على جسدها وأطلق العنان لرجليها والوجهة غرفتها ما إن دلفت بدأت بإيقاظ زوجها وهي متوجسة وأغلال النوم لا زالت تمسك جفون زوجها ولم تتركه لينطلق الصراخ مرة أخرى ليكون بمثابة الفأس لقطع الأغلال وينهض زوجها فزعا منتفضا من السرير متيبسا، ظلا يستمعان للصوت ثواني وكان الصوت في خبر كان لتحضن زوجها بعد أن ذاب التيبس عنها وهي ترتجف قائلة: أسمعت ما سمعته حضنها بقوة محاولا تهدئتها قائلا: لا تخافي لعله التعب بدأ بإنتاج هذا الفيلم في أدمغتنا فلتستهدي بالله واذهبي للنوم، عادوا تحت اللحاف لكنها لم تستسلم للنوم بسرعة وعينيها لم تفارق موقع الباب المفتوح على أخره ويداها تشتبك بيدي زوجها التي تحضنها، في البداية كانت كفة الخوف في الميزان لها الثقل وأبقى عينيها جاحظتان لكن عندما عاد النوم لوطنه مداعبا جفونها ليزداد ثقل كفة النوم فطرد الخوف، عم الهدوء من جديد إلا من الغطيط التي تشعرك بالأمان لكن الدبيب أبى إعلان خسارته وعاد من جديد وسانده ظل طفل تحت الضوء الخفيف، توقف دقائق عند الباب ثم تراجع وأختفى في الظلام ليتبعه صوت صرير باب.

أشعة ذهبية تداعب بشرتها دخلت علنا من نافذتها لتستيقظ فزعة من نومها رغم الخوف، نظرت للساعة التي تشير للعاشرة صباحا هزت زوجها وهي تردد انهض إنها العاشرة هيا، تململ في الفراش فاردا جسده بقوة مصدرا صوتا ، أزالت عنها الغطاء وتحركت بقدميها الحافيتين نحو الممر لإيقاظ أطفالها وعند مرورها بالغرفة الوسطى وجدت بابها مواربا استرقت النظر للداخل فضوء الشمس يوضح معالمها، أرسلتها تتجول لا شيء فيها مثلما رأتها بالأمس اقتربت بهدوء ودفعت الباب بسرعة وتراجعت طائفةً بعينيها تحاول البحث عن شيء يفسر ما حدث بالأمس ، لا شيء سوى خربشة للأطفال على جدرانها مسحت على صدرها وزفرت وأكملت طريقها نحو غرفة أطفالها لإيقاظهم فبدأوا بفرد أجسادهم المتصلبة لتتركهم في أعادة نشاطهم وبدأت روتينها المعتاد لكل زوجة فجزء عملها اليوم يرتكز على الباحة الخلفية التي كان يتوسطها بئر قصير الرقبة قديم مغطى، منذ بدايتها تنظيف الباحة وشيء ما يحاول أن يجعل نظراتها تنجذب للبئر وكأنه مغناطيس، فأرادت أن تقتل فضولها فهو متهم بقضية تلصص، فتوجهت له لتزيل حيرتها رفعت الغطاء وتجولت بناظريها داخله فلم تجد إلا الظلام ورائحة غريبة أرجعت الغطاء وهي تقول لا يوجد به ماء يا عزيزي و أضافت أجمع الأطفال ودعنا ندخل صحيح ويجب علينا أيضا ترميم الغرفة الوسطى للاستفادة منها دخلوا لوكرهم ، بدأت الشمس بلعب الغميضة والاختباء والقمر بالظهور معلننا ارسال جنوده الأقوياء الصمت والهدوء وساعده الأيمن النوم، كل في فراشه والأحلام تحاصره فأغلاله قوية ومتينة إلا .....مع دخول الساعة الثالثة فجرا انطلق صراخ أم وطفل في المنزل بقوة كرصاصة قناص اخترقت رأس الأحلام وأردتها قتيلة ليستيقظوا فزعين، أبعدت اللحاف بسرعة

ومهـارة لدرجـة أنهـا خرجـت منـه قبـل أن يرجـع لهيئتـه قبـل الطـيران فمهـما كان الخـوف أطفالهـا يحتاجونهـا وهـي في خـوض بطولتهـا ظهـر فجـأة أمامهـا طفـل صغـير يغطيـه السـواد شـاخص للبـصر مفتـوح الفـاه مظهـرا ثقـب في عمـوده الفقـري ومـا إن وقعـت عيناهـا في عينيـه بـدأ بالـصراخ الحـاد، هنـا بـدأ الخـوف بتنشـيط زر الأغـماء مـن هـول مـا رأت عينـاه تدريجيـا ليـؤازره صراخ امـرأة مـن خـارج المنـزل حاولـت الأمومـة الدعـس عـلى الخـوف والانـزلاق مـن قبضتـه لتتحـرر منـه وانطلقـت إلى غرفـة أطفالهـا ليتبعهـا زوجهـا الـذي يحـاول المقاومـة جاحـظ العينـين، دلفـت إلى غرفـة أطفالهـا كقذيفـة مدفـع الذيـن كانـوا يتكـورون حـول أنفسـهم تحـت الغطـاء اقتربـت منهـم وحملتهـم بمسـاعدة زوجهـا وفي خـوض خروجهـم مـن الغرفـة كانـت طقـوس الرعـب قـد أعلنـت ابتـدأ احتفالهـا في الغرفـة الوسـطى لم يهتمـوا ويعيروهـا أمـرا لأن السـيطرة الآن مـن نصيـب الهـروب والفـزع فكـما تعلمـون في هـذه اللحظـات الدمـاغ يتحـول لبلـد بـدون حاكـم شرعـي، نزلـوا السـلالم التـي تغطيهـا الدمـاء متجهـين للخـارج لتـأتي تحـت أنظارهـا خلـف البـاب الزجاجـي الـذي يفصـل البيـت عـن الباحـة امـرأة تقـف أمـام البـئر وصـوت الـصراخ ينطلـق منهـا، جسـدها كجسـم الدميـة لا مفاصـل فيـه والدمـاء تغطيـه وشـعرها يغطـي وجههـا لتتوقـف فجـأة عندمـا تعلقـت عيـون الـزوج والزوجـة بهـا ليرتفـع شـعرها عنـد وجههـا لتظهـر عينـان شـاخصتان وفـاه كبـير وكأنـه قـد مـزق مـن زوايـاه وهـي تـردف بصـوت متحجـرش يـئن النجـدة ، سـحب الـزوج زوجتـه بقـوة و دفعهـا أمامـه لأنـه لم يسـتحمل مـا حـدث ليبـدأ الهـروب في التحكـم المطلـق في أرجلهـم ويسـتلم الأوامـر بجديـة أكـثر وكانـت الوجهـة الشـارع المظلـم إلا مـن أعمـدة الإنـارة المسـتيقظة ليـلا نائمـة صباحـا لا يعلمـون أن سـتتوقف أرجلهـم يطيعـون أوامرهـا في الركـض لتتوقـف عنـد منـزل كان صاحبـه يقـف أمامـه بملابـس نومـه والبيـاض الـذي غـزى شـعره ولحيتـه وتجاعيـد ألمـه ينظـر لهـم بشـفقة وأردف بعدمـا رأى أرجلهـم تنتظـر إشـارة التوقـف منـه : ادخلـوا للداخـل لتهدئـة الأولاد عجـزت الزوجـة عـن إخـراج جمـل كاملـة وكأن الخـوف يقفـز عـلى أحبالهـا الصوتيـة ليربـت عـلى كتفهـا ودفعهـا للداخـل قائـلا يبـدو أنكـم جـدد في هـذه المنطقـة أدخـلي يـا ابنتـي لزوجتـي وطمنـي الأولاد دخلـت وهـي تجـر رجليهـا فالهـروب اسـتنفذ جميـع طاقتهـا لم يجـد الثبـات طاقـة ليبـدأ عملـه فهجرهـا ، لم يختلـف الأمـر عنـد زوجهـا فرجليـه لم تعـد تتحملـه فتراخـت وطـرّى عظمهـا وأطلقـت العنـان لجسـده للهبـوط بـلا مـدرج، ليسترسـل الرجـل في الحديـث قائـلا هـذا الـصراخ ينطلـق كل ليلـة في مثـل هـذا الوقـت كل مـن قنـت هـذا المنـزل لا يكمـل أسـبوعه الأول، عـزف النـاس عـلى شرائـه فلهـذا يبـدو أنكـم خـارج المدينـة ولا تعرفـوا قصتـه لهـذا خدعكـم البائـع، أعـرف أنـاس حاولـوا الصمـود فيـه لم يسـتطيعوا تحمـل صراخ الطفـل وتحركـه الدائـم داخـل المنـزل وصراخ المـرأة التـي معـه الـذي لا يتوقـف عنـد مكـوث البـشر في المنـزل فصراخهـا يمتـد للفجـر أمـا إذا كان فارغـا تـصرخ لمـدة ربـع سـاعة ثـم أنـين ألم لمـدة سـاعة ، يقـال أيضـا أن العائلـة التـي كانـت تمكـث فيـه قبلكـم حاولـت المكـوث وعـدم الاهتـمام لمـا يحـدث كانـت المـرأة كل يـوم تقـترب مـن المنـزل وتبتعـد عـن البـئر وتسـتنجد إلى أن وصلـت لسريرهـم بهيأتهـا المرعبـة وأيضـا الطفـل الصـارخ والغرفـة الوسـطى والرعـب الـذي يحـدث بداخلهـا، ليبـترا كلام العجـوز تأتـأة الزوجـة التـي يبـدو أنهـا كانـت تسـتمع لهـم مردفـه مـا الـذي حـدث لهـا وللطفـل ؟! ليجيـب قائـلا لا نعلـم أنـا أعتـبر الأقـدام بيتـا هنـا، اسـمع صراخهـا كل ليلـة اعتـده فهـي لا تـؤذي أحـد، هنـاك مـن لم يتحمـل هـذا وتـرك منزلـه، لتقـول بخفـوت نحـن حالتنـا الماديـة بسـيطة

لا نملك ثمن شراء غيره واغترينا بثمنه البخس ووجهت كلامها لزوجها مضيفة سوف نرجع للبيت ونرى ما يحدث مثلما قال العجوز هي لا تؤذي أحد لكنها تحاول طردنا لهذا نحن لن نخسر شيئا، ليجيبها بهز رأسه لا ، لكنها مرأة لم تتوقف إلا بعد حصولها على مرادها، وافق زوجها دخول المنزل فقد أخبرته انها تريد إحضار أوراقه وطلبت من العجوز بأن يبقي الأطفال عنده ريثما يخرجان فقد رحب بالأمر، تحركت هي وزوجها ناحية المنزل وما إن خطت عتبة الباب وهي تمسك يد زوجها بقوة بدأ الصراخ والعويل من المرأة التي انتبهت لها الزوجة وهي مبتعدة عن البئر عن موقعها الأصلي (انقذوني) هذا ما أردفت به المرأة، سحبت يدها التي تتشابك فيها أصابعها مع أصابع زوجها وانطلقت راكضةً الي الباب الزجاجي الخلفي الذي يفصل الباحة عن المنزل وفتحته وهي ترتجف من الخوف وتردد ماذا بك أخبريني م الذي حدث معك أخبريني ليبتر السؤال صراخها ويتحول جسدها لجسد بشري وهي تنتحب قائلة انقذي نفسي لقد ضعت

لم تنبت ببنس شفه ولم تفهم من هول ما يحدث ،إلى أن أشارت المرأة إلى البئر ليردف زوجها إنها تشير إلى البئر وأكمل حديثه وهو يتوجه للبئر رافعا الغطاء لتبدأ المرأة بدفع الحروف كصنبور مياه قديم فجأته ضخ مياه قوي لقد قتلني وقتل طفلي بسبب طمعه و جشعه ولم يبحث عني أحد كنت فقط أريد ان تجد الشرطة جثتي وجثة ابني

فقد قتل ابني برصاصة طائشة من سلاحه الغير مرخص وعندما حاولت استدعاء الشرطة دفعني لأسقط هنا ، ساعة وأنا أتألم مع طفلي الميت فشكرا لك للبحث عني وهذا البيت قد أصبح ملكك وأنت عرفتي أنني قتلت، الحقيقة بين يديك لتخترقها اشعة الشمس فاختفت مع طفلها الذي ظهر بجانبها فجأة وأمسك أصابعها ، وجم الزوج والزوجة اللذان كانا يظنان أنهما في حلم.

هاجر جمعة الرواياتي ليبيا

أحبتني جنية

كان (مالك) يقود سيارته ذات ليلة قاربت فيها الساعة الثانية صباحا و قد سلك طريقا مشجرا في الغابة . تاه في مسار مجهول الذي توغّلت فيه سيارته بالصدفة .

ازدرد ريقه و فتح ياقة قميصه بعد أن لفحته موجة حر .

لا يدري لما تبادرت الى ذهنه تلك الخرافات التي كانت تسردها له جدته في هذه اللحظة بالذات . تلك القصص التي تتحدث عن « النّداهة « و صاحبة الرّجل المقطوعة ، تعوّذ بالله من الشيطان الرجيم و حاول أن يركّز في القيادة كي لا يصطدم بشيء ما في عزّ هذا الظلام .

في تلك الأثناء كان مالك يلعن العمل المتراكم الذي اضطرّه للبقاء الى ساعة متأخرّة من الليل في مكتبه ، فهو يرغب في أخذ اجازة الأسبوع المقبل ليقيم حفل خطوبته .

بينما كان يبحث عن مسلك يخرجه من هذه المتاهة ، اذ بامرأة تلوّح له وسط الطريق ليتوقف .

ضيّق عينيه ليتحقق مما رآه قائلا :

(غريب ، ما الذي أحضر هذه الفتاة الى هنا في هذا الوقت المتأخر)

أوقف سيارته دون أن يرتجل منها ، تقدّمت نحوه ثمّ أشارت له ليفتح الباب .

قرّبت وجهها من زجاج السيارة ، لاحظ أنّها تبدو في أحسن حال حسب هيئتها .

كانت ترتدي ثوبا أبيض ناصعا و قد انسدل شعرها الذي كان بلون الليل على كتفيها .سألته بصوت لطيف ان كان في امكانه أن يقلها الى وسط المدينة في طريقه ، فأومأ لها بنعم .

و كأنّ لون عينيها الذي يشبه سحابة دخان قد خدّر دماغه للحظات ، ثم حاول أن يسترجع من جديد تركيزه على مقودِ السيارة .

اتخذت مكانها في المقعد الخلفي للسيارة ثم انطلق ناحية المدينة ، لم يسألها شيئا طوال الطريق ، كما لم تتفوه هي بأي كلمة .

كان يختلس النظر اليها عبر مرآة السيارة ، فبدت له شاردة حزينة .

بعد أن وصلوا الى المدينة نزلت من السيارة ، شكرته بنبرة مهذّبة ثم ودعته و ذهبت .كل هذا و هو مازال يركن سيارته شاخصا ببصره الحائر في الاتجاه الذي ذهبت اليه الفتاة .

رأى أنه من غير اللائق أن يسألها عما كانت تفعله لوحدها في ذلك المكان لساعة متأخرة .

انتبه الى أن الساعة قد قاربت الرابعة صباحا ، و فكّر في أهله . لا شكّ في أنهم اتصلوا لكن بطارية الهاتف نفذت.

ما إن دلف الى المنزل حتّى سارعوا اليه و قد ارتسمت معالم الحيرة على وجوههم مستفسرين عن سبب تأخره .

طمأنهم بابتسامة و أخبرهم بأنّه اضطر الى أخذ دوام اضافي .

دخل الى غرفته و ارتمى على سريره آملا في أن يغلف الكرى عينيه ، غفى قليلا ثمّ استيقظ فجأة .

تحسّس الوسادة التي كانت تحت راسه فلم يجدها ، بل كانت ركبة شخص ما ، رفع بصره ليرى فكانت دهشته كبيرة ، إنّها تلك الفتاة التي أوصلها منذ ساعة الى المدينة ، تنظر اليه بملامح جامدة .

قفز مذعورا كمن لدغته حية و عقدت الدهشة لسانه، آلاف الاسئلة تزاحمت في رأسه :

(كيف و متى ، و لم هي هنا ؟ و ماذا تريد منّي بما أنّها في منزلي الآن ؟ بل كيف دخلت الى غرفتي ؟)

التفسير الوحيد الذي توصل اليه في هذه الحالة هو أنها ليست من بني البشر ..

كان سيصرخ و يستنجد لولا أنّها هدّأت من روعه قائلة :

(اهدأ و سأشرح لك كل شيء .أولا ، أنا جنية من بنات الجن و أدعى «سيدرا» .إلا أنني أحب عالمكم هذا و لا أحبّ مخالطة بني جنسي .

أتعرّض للبشر يوميا في طريقهم على أنني إنسانة ، أجالسهم و أحادثهم و أحاول أن أتعرف الى نمط حياتهم و طريقة تفكيرهم . لكني لم أتوقّع يوما أن أقع في حب فرد منهم) .

قالتها و قد انفرجت شفتاها عن ابتسامة ساحرة و هي تنظر الى عيني مالك .

فهم ما ترمي اليه في حديثها ، فشحبت سحنته و ازدرد ريقه ثم قال بصوت متقطّع :

(أتعـ..أ تعني بأني أنا هو ذلك الشخص ؟)

ردّت بابتسامة : (نعم ، إنه أنت . منذ اللحظة التي وقعت فيها عيناي على وجهك) .

صاح في وجهها قائلا بعد أن ابتعد خطوات عنها :

(أخرجي من غرفتي)

قالت هامسة : (اخفض صوتك ،سيسمعك أهلك و يهرعون الى هنا .هم لا يستطيعون رؤيتي و سيتهمونك بالجنون ان اخبرتهم عنّي ، أنا أُظهر لك أنت فقط).

قال بنبرة استسلام : (بالمختصر أيتها الجنية ، ما الذي تريدينه منّي؟).

أجابته و الحزن يطّل من عينيها : (أريدك أنت فقط ، أن تكون لي .)

و مدّت يدها صوبه و أضافت بلهجة آمرة : تـزوجني يا مالك ..

قـال مرتجفـا : مسـتحيل ، هـذا لـن يحـدث . أنـا مـن طينـة البـشر و أنـت مـن الجـن . تزوّجـي مخلوقـا مـن جنسـك ،فالله سـبحانه و تعـالى قـد فـرّق بيننـا و بينكـم ، أنـا سـأتزوّج الاسـبوع المقبـل .

ثارت ثائرتها و تغيرت ملامح وجهها الهادئة :

(هل تقصد أنّك ستتزوج من فتاة بشرية ؟

أنظـر اليّ ، ألسـت فاتنـة ؟ ألا يكفيـك هـذا ؟ حتّـى أنـه يمكننـي تغيـير شـكلي و اتخـاذ هيئـة تلـك الفتـاة اذا أردت هـذا).

أجابها خائفا و هو يهزّ رأسه نفيا :

(لا علاقة للأمر بالشكل ، افهمي رجاء . فرضية وجودنا معا مستحيلة التحقق

اذا كنت قد أحببتني فعلا كما قلت ، اتركيني بسلام ..)

ازدادت ثورة جنونها و زمجرت :

(آسفة يا مالك لكنك لي الآن ،و لن تكون لغيري مطلقا...)

اسـتيقظ مالـك غـير واع لمـا حـدث بعـد تلـك اللحظـة . نظـر حولـه فوجـد أهلـه ملتفـين حولـه . شـعر بصـداع شـديد يغزو رأسـه .

ظـنّ أنّ مـا مـرّ بـه مـع الجنيـة مجـرّد حلـم ، إلا أن أمـه أخبرتـه بأنـه كان يـصرخ و عندمـا وصلـوا الى الغرفـة وجـدوه فاقـدا للوعـي. فتكتّـم عـن الأمـر كي لا يقلقهـم ، و قـرّر أن يحـلّ القضيـة بنفسـه .

و بدأت حياة العذاب بخطّ سطورها في صفحات أيام مالك و لم يعد ينام من الليل إلا قليلا .

الدوامة التي أصبح يعيش فيها صارت تخنقه فسيدرا لم تعد تفارقه .

كانـت تظهـر لـه كلّ ليلـة في هيئتهـا الجميلـة تلـك ، وهـو يعلـم أنـه لـو عـلى شـاكلتها الحقيقيـة كـما هـي في عـالم الجـنّ لأغمـي عليـه مـن الهلـع . و ذلـك لأن أشـكال الجـن الأصليـة مخيفـة .

كانت تسّر له كل ليلة بمشاعرها ، و تناشده أن يلبّي نداء قلبها .

لكنّـه يشـيح عنهـا بوجهـه . حتـى أنهـا أرّقـت مضجعـه فكلّـما أغمـض عينيـه و نـام تمّثلـت لـه في الأحـلام .كانـت تطـارده في اليقظـة و النـوم .

بعـد أن ضـاق ذرعـا بمضايقاتهـا هدّدهـا بأنـه سـيحرقها بآيـات تـؤذي الجـن فاستشـاطت غضبـا و انقضـت عـلى رقبتـه تحـاول خنقـه.

جحظـت عينـاه و كادت تخنقـه لـولا أنّهـا عـادت لرشـدها ، فأفلتتـه بسرعـة تاركـة إيـاه ممسـكا برقبتـه و هـو يسـعل .

قالت مهددة :

(أنا أحذرك ، لا تعبث معي . ان لم تستسلم فسأقتلك حتما ...)

جزع مالك بسبب كلماتها تلك ، ولكنه واسى نفسه بفكرة أنها مادامت تحبّه فلن تمسه بسوء . خوفها فقط هو ما حرّك لسانها لقول ذلك الكلام .

صبيحة اليوم الموالي ، وبينما كان متجّها الى عمله استوقفته أمه عند الباب لتدقق النظر في الأثر الذي ظهر على رقبته.

. إنها أشبه بأثر غرز أربعة أظافر . كادت أن تسأله إلا أنّ الكلام عاد الى حلقها عندما بدا لها أن طرح سؤال كهذا هو أمر غير لائق .

لاحظ مالك وجوم أمه فقال مستفهما :

ماذا هناك يا أمي ؟

هزّت رأسها نفيا و ابتسمت لتخفي حيرتها :

لا شيء يا بني ، أردت أن أطلب منك العودة باكرا فأمامنا عدّة تحضيرات كما تعلم .

قبّل يدها و طلب منها أن تدعو له ثم انطلق الى عمله .

مساء ذلك اليوم اتّجه برفقة خطيبته الى المطعم .

و بعد خروجهما نظر اليها بزهو قائلا :

هيّا يا عزيزتي ، سأوصلك الى البيت ..

فتح لها الباب الأمامي للسيارة لتجلس بجانبه و انطلقت السيارة .

أثناء الطريق فوجئت بصوت أنثوي يهمس لها كفحيح أفعى :

ابتعدي عنه ..

ردّدت لمياء المعوذتين في سرّها و عزمت على عدم اخبار مالك بما حدث للتو ، فهي لا ترغب في أن تفسد الجوّ حاليا بما ينغص على سعادتهما رغم خوفها في تلك اللحظة .

يوم السبت الفاتح من يونيو زيّنت قاعة الأفراح لتعلن عن بداية الساعات

الملاح . كانت متلألئة كالسماء المرصعة بالنجوم من أجل اقامة حفل زفاف مالك و لمياء .

كان مالك في غرفته مرتديا بذلة سوداء أنيقة ، نظر الى نفسه في المرآة و السعادة تغمره و بينما كان يعدّل ربطة عنقه اذ بوجه يظهر بجانب وجهه في المرآة . تجهّمت ملامحه و أغمض عينيه و هو يحاول أن يسترد أنفاسه .

إنّها سيدرا ...

لم تكن لتتركه في هذا اليوم تحديدا ..

اتـت مـن خلفـه و اقتربـت منـه مرسـلة يديهـا عـبر وجنتيـه تتحسـس وجهـه و هـي تقـول بصـوت أقـرب الى البـكاء :

تبدو وسيما الليلة ، هذا اللون يليق بك كثيرا يا عريسي ..

ارتعدت فرائصه حين سمع الكلمة الأخيرة ..

استدار ناحيتها كمن صعقته صاعقة قائلا :

(عريـسُك ؟)

و انفرجت شفتاها عن ابتسامة متألمة :

نعم ،سنتزوّج اليوم .سأكون عروسك .

رفع ابهامه في وجهها مهدّدا :

أحذرك ، ان لمست شعرة من رأس لمياء ...

قاطعته باستفزاز:

ما الذي ستفعله ؟ انصحك بأن تبقى هادئا .

قال بصوت مرتجف :

ان فكرّت في ايذائها فسأشنق نفسي ..

عبست ملامحها و نظرت اليه في أسى قائلة :

هكذا اذن ، أتحبها لهذه الدرجة ..

و تبخرت كالدخان في وسط الغرفة ..

تنفّـس مالـك الصعـداء و وقـع عـلى ركبتيـه منهـكا مـن الخـوف و تمتـم في نفسـه : لقـد ارتحـت مـن شرّهـا أخـيرا ، لاشّـك في أنهـا يئسـت و لـن تعـود مجـددا.

استيقظ مالك صبيحة يوم زفافه السعيد ، لم يجد عروسه بجانبه .

لقد استيقظت قبله .

في هـذه اللحظـة دخلـت لميـاء و هـي تحمـل صينيـة الافطـار و قـد بـدت لـه في أبهـى طلّـة رآهـا فيهـا منـذ عرفهـا .

قال مغازلا : تبدين فاتنة.

ابتسمت بخجل و حملت لقمة و قرّبتها من فمه قائلة :

طبعا أنا فاتنة ، ألم أقل لك بأننا سنتزوج ؟

و وقعت اللقمة من فمه من هول الصدمة ...لأن الصوت الذي تكلمّت به كان صوت سيدرا .

رحمة خطار الجزائر

أوهام سعيدة جداً تعيسة للغاية

١

تلـك هـى الحيـاة التـى أردت.. البسـاطة و الاسـتقرار و الهـدوء.. و أهـم شـئ انهـا معـي و سـتظل كذلـك للأبـد..

***

مـن أنـا ؟ أنـا يحيـي طالـب فى المرحلـة الثانويـة و سـأتمم عامـي الثامـن عـشر الشـهر المقبـل.. امـا عـن صفـاتى و هيئتـى و كل هـذا فيكفـي ان اقـول اننـى مجهتـد فى دراسـتى, لسـت اجتماعيـاً جـداً لكـن لسـت منطويـاً عـلي نفـسي.. امـا عـن باقـي شـخصيتى فكفانـا هـراءاً..

اليـوم هـو الأحـد و لطالمـا سـألنى والـداي عـن سـبب عـدم غيـابي عـن المدرسـة أيـام الأحـد رغـم ان عنـدي درسـين بعـد المدرسـة فى ذلـك اليـوم.. لكـن الحقيقـة اننـى أذهـب لأحـضر حصـة النشـاط الـذي لا يحضرهـا سـواى انـا و ثلاثـة آخـرون.. و هـي مـن أحـضر الحصـة لأراهـا..

دعنـى أعرفـك عـلى «نهـي» انهـا تلـك الـوردة التـى تـدارى أوراقهـا خجـلاً وسـط حقـل ملـئ بالـورود المتبجحـة.. و هـذا يكفـي..

لطالمـا أسرح بخيـالى فـأرانى أداعـب ابننـا الأول.. و بعـد ان تخيلـت هـذا المشـهد مـراراً اعترفـت لنفـسي اننـى أحـب تلـك الفتـاة! لكننـى لـن أقـول لهـا الآن.. لم؟ كي لا اشـغلها عـن دراسـتها و لأننـي سـأجتهد فى دراسـتى أنـا أيضـاً حتـى أسـتطيع يومـاً قـرع بـاب أهلهـا طالبـاً يدهـا..

هـي كانـت فى فصـل آخـر و لذلـك كنـت لا أراهـا سـوى يـوم الأحـد فى حصـة النشـاط.. و لذلـك كنـت لا أغيـب أيـام الأحد..

فتحـت عينـى بصعوبـة.. أحـاول التركيـز لكـن الرؤيـة لا تـزال صعبـة.. صـدري يعلـو و يهبـط و مـع ذلـك لا أقـدر ان اتنفـس بعمـق كأن هنـاك مـن يجلـس في رئتـاى.. و أخـيراً بـدأت أميـز مـا حـولى.. جهـاز قيـاس نبـض القلـب و رائحـة المستشـفيات المعروفـة..

انفتـح البـاب ليدخـل منـه طبيـب و رجـل يرتـدي بدلـة سـوداء.. سـألت الطبيـب و بنـبرة سريعـة متقطعـة :

-ماذا حدث؟!!

فأجاب و هو ينظر فى أوراق يمسكها بيده.. :

-ما اخر شئ تتذكره؟

_صباح يوم الأحد قبل ذهابي الى المدرسة

غمغم بكلمات للرجل ذى البدلة السوداء ثم قال و هو يرفع الغطاء عن قدمى :

-اليوم هو الخميس.. و الآن بماذا تشعر؟

لم أفهم بماذا اشعر و من ثم نظرت الي قدمى.. لم أجدها!

***

بترت قدمي.. فى طريقي الي المدرسة تعرضت لحادث سير و قد ادي الى فقدانى لقدمى.. لا أذكر حرفاً من هذا لكن الطبيب يقول انه فقدان ذاكرة مؤقت نتيجة للحادث.. أخيراً هدأت فقال الرجل ذي البدلة السوداء أمراً للطبيب بالخروج و تركي معه بمفردنا..

خرج الطبيب فأبتسم الرجل لأول مرة منذ ان رأيته.. لكن ابتامته زادته ريبة لا أكثر.. فقال و هو يبتسم :

-جميلة نهي.. لكن أتعتقد انها سترضي برجل ذي قدم واحدة؟ لنقل انها رضيت .. فهل أهلها سيرضوا ؟!

اضطربت و تشتت فكري تماماً! من هذا و ما الذي يعرفه عنى؟! لم أنطق بحرف و وجهي يرسم علامات الإنذهال بكل معانيه..

لم يدعنى الرجل أبحث عن رد كثيراً و قال لي بنفس الإبتسامة و لكن أكثر هدوءاً :

- أنا أعرف كل ما يدور فى خاطرك.. ما فى قلبك و ما فى عقلك بل و ذاكرتك كلها أيضاً.. و عندي عرض لك ان قبلته فقد ربحت.. أستطيع أن أعيدك بقدمين بل و أفضل من ذي قبل أيضاً.. ستعيش انت و هي فى عالمكما الخاص و لن يدخله سوي من تحب..

نهض الرجل من على الفراش و اتجه الى الباب و بعد ان عالج المزلاج قال دون ان يلتفت لى :

-فكر فى ما قلت.. و حين اتى المرة القادمة ستخبرنى رأيك, و ستعرف المزيد..

و أغلق الباب..

٢

مستلقى على ظهرى فوق لوح بارد متصل بغطاء معدنى فيبدو كالتابوت المفتوح.. ثبت الأطباء مجسات على جسدي بعد ان غرزوا فيه الابر العريضة انصرفوا..

مرت دقائق فأبصرت بعينى كى أري أين ذهبوا فوجدتهم فى ركن القاعة الكبيرة يحدثوا الرجل ذي البدلة السوداء و هو يستمع فقط لا يتكلم و من ثم نظر الى واشار ان يصمتوا.. اقترب منى و قال :

-أمستعد ان تحيا الحياة التى تمنيت يا بنى؟

_لا أعلم..

أجبت متردداً , فنظر لي هنيهة ثم قال في ثقة :

-ستعلم انك قد اخترت الصواب.. لن تشعر مطلقاً انك في وهم او تحلم.. بل ستعرف يقيناً انك في واقع..

_اخاف انني الأول..

-بل لك الشرف انك ستكون الأول.. ستكون الفائز الأول.. اختراع نعمل عليه منذ عقود كي نستطيع الولوج الى اعماق الناس بل و صنع لهم جنتهم الخاصة.. ستكون تلك جنتك و ستعلم اني صدقت..

أشار للطبيب فجاء و حقن شيئاً ما في عنقي.. نظر الى الرجل نظرة أخيرة و ابتسم ابتسامته المعهودة, بدأت الرؤيا تصعب على و ثقل جفناي.. فكان اخر ما رأيت انغلاق التابوت علي..

***

بعد مرور ٤ سنوات..

استنشق الهواء النقي في مزرعتي التي أعيش فيها مع من أحب أبي و أمي.. و زوجتي الغالية «نهي» و ابني ذي الثلاث سنوات.. كنت أجلس مع «نهي» نداعب ابننا الصغير وسط الحقول الخضراء و السعادة تغمرنا .. احتضنهم وقت العصر بعد ان انهيت عملي في الحقل و انهت نهي عملها في الحظيرة.. تلك هي الحياة التي أردت , نعمل لأنفسنا في استقرار و هدوء و الأهم اننا معاً.. إلى الأبد.. فقد صدق الرجل بعهده.

قالت نهي و هي تداعب قطة خرجت من الحقل :

= ....

لم اسمع حرفاً مما تقول..

***

في حصة نشاط يوم الأحد أحضرت المعلمة قطة معها كي نحاول رسمها.. و ما ان احتكت القطة بـ «نهي» حتى احمرت عيني نهي و اصابها الغثيان و خرجت بسرعة من القاعة و تغيبت عن المدرسة ليوم بعدها..

كانت مصابة بحساسية ضد القطط.. بل و كانت تكره القطط و تشمئز منهم..

***

عدت من شرودي فحملت ابني و قلت:

-لندخل الى المنزل كي نأكل.. ألم تجوعي بعد كل هذا العمل؟

اجابت نهي اجابة اخرى على غرار «سأموت جوعاً» و قامت كي ندخل الى المنزل.. لم استمع

لإجابتهـا لأننـى كنـت شـارد فيـما أفكـر..

***

قلت لهم فى المساء و نحن نجلس امام الشرفة الكبيرة المطلة على الحقول.. :

-أتذكري يا نهى حين جئتك فى المدرسة الثانوية و اعترفت لكي بحبي؟

نظرت نهى فى خجل و هي تضحك و تداري وجهها عني, قالت :

- و كيف لى أن أنسي؟..

فنظرت الى أبي و أمي وعينى تكاد أن تدمع و قلت:

-و هـل تذكـر يـا أبي حـين جئتـك يومهـا و قلـت لـك انـت و امـى اننـى وجـدت زوجتـى و لـن أسـتغنى عنهـا؟

ضحكا و قالت أمي :

-طـوال عمـرك و أنـت عنيـد كأبـوك, لكننـى منـذ أن رأيـت «نهـي» و عرفـت انهـا بنـت حـلال و انهـا...

***

لطالما أسرح بخيـالى فـأرانى أداعـب ابننـا الأول.. و بعـد ان تخيلـت هـذا المشـهد مـراراً اعترفـت لنفسي اننـى أحـب تلـك الفتـاة! لكننـى لـن أقـول لهـا الآن.. لم؟ كي لا اشـغلها عـن دراسـتها و لأننـي سـأجتهد فى دراسـتى أنـا أيضـاً.. هـذا سري و لـن يعرفـه سـواي حتـى أسـتطيع يومـاً قـرع بـاب أهلهـا طالبـاً يدهـا.

٣

وقت العصر مع كوب شاي في وسط الحقول اكتب لحبيبتى ..

«نهي انت من احببت يوماً.. فصار يوم حبك دهراً

عشت حياتى ثلاثة دهور..

قبل لقائك دهر و بعد لقائك دهر..

و يوم حبك أجمل دهر.. فتباً لك أيتها المزيفة!!!!!»

***

_ د. رشاد هناك من ينتظرك على الهاتف

اغلقت الحاسوب و انا اتنهد فى ملل.. حتى بعد اغلاق هاتفي النقال اتلقي مكالمات !

-د. رشاد يتحدث

=أنا روشان يا رشاد

- يا أهلاً! في حاجة يا فندم؟!!

=رشـاد الموضـوع فى غايـة الخطـورة فمـن فضلـك انـسي اى مشـكلات بيننـا مؤقتـاً , و ضرورة قصـوى ان نتقابـل..

-تعرفين أين احتسي قهوتى!

=الموضـوع لـن ينتظـر حتـى سـاعة غدائـك! خمـس دقائـك و سـأكون امـام عملـك انتظـرك في سـيارتي.

***

لم اتـذوق الشـعر يومـاً فكيـف الآن يحيـي -الـذي هـو أنـا- أكتبـه! ثـم يـوم ان افعـل اكتـب لشـخصية وهميـة؟! هـذا هـراء يـا صديقـي.. فلنكمـل عملنـا فى الحقـل قبـل الغروب!

***

قالت و هي تمسك بمقود السيارة :

=كنـت دائمـاً عـلى حـق يـا رشـاد.. انهـم ينـوون غـزو العـالم, ليـس بالأسـحلة بـل بالتسـلل الى عقـول النـاس!

-نعـم انـا كنـت عـلى حـق و لم تصدقـي حرفـاً مـما قلـت يـا اختـى البائسـة! فعاتبـي نفسـك كـما يحلـو لـكي..

=تباً لك! الا يمكن ان تستمع الى ما اقول دون ان تعاتبنى!

-انت تستحقين العتاب , لكن هذا ليس وقته.. ماذا لديك؟

=اسـمع.. هنـاك فتـى اسـمه «يحيـي» تـم تلفيـق موتـه امـام اهلـه كحـادث.. لكـن فى الحقيقـة هـو فى المختـبر يتـم تجربـة الواقـع الافـتراضي عليـه..

-و ؟!

=و؟!!! خطـف قـاصر مـن أهلـه! و قـضي فى الواقـع الافـتراضي حتـى الآن ٤ سـنوات لكـن فى الحقيقـة لم يقـض سـوي بضـع شـهور.. انـه كالحلـم كـما تعلـم..

-و كيف تحول المسكين الى فأر تجارب؟

=قالـوا لـه انـه تعـرض لحـادث و ان قدمـه مبتـورة, و لـه الاختيـار امـا الحيـاة بقـدم واحـدة امـا الحيـاة الطبيعيـة فى الواقـع الافـتراضي..

-حسناً لقد اختار الفتى اختياره اذن..

=كلا.. الفتى لم تبتر قدمه ابداً.. لديه قدمان سليمتان..

-وهو ساذج لدرجة ان يقول له احد ان قدمه بترت فيصدقه دون ان ينظر لساقه؟!

=لقد ادخلوه فى احدي العوالم الافتراضية فيها قدمه مبتورة و هناك حدث النقاش و من هذا العالم توجه الى عالم افتراضي اخر.. الفتى سليم فى الواقع الحقيقي يا رشاد!

***

لن اعود.. يحيي سيظل هنا مع نهي .. ان عدت سأجد واقع لن اتقبله.. لربما مات ابى و امى حزناً علي فأنا وحيدهما و نهي قد تزوجت.. فهي كالماسة لن تبقي خارج الخزانة كثيراً.. و ايضا انا لم اكمل دراستى فلربما بتلك القدم المبتورة اصير شحاذ فى اشارات المرور! كلا سأظل هنا حياً أرزق.. بصحتى..

***

- لديك ما يثبت ما تقولين؟!

=لقد كنت المسؤولة عن التجربة من البداية..

-تباً لك!! و هل استيقظ ضميرك الآن؟!

=رشاد الموضوع اكبر منى و منك.. فالمنظمة لا تهدف الى التقدم العلمى كما هو واضح.. بل الى كل شئ! لقد اخترت انت الصواب حين انسحبت.. لكن الآن الموضوع يتحول الى ما يفوق الشغف العلمى!

-هل تقولى انهم ادخلوه فى واقع افتراضي ليقنعوه بأنه قد فقد قدمه؟

=أجل..

-هناك ما يقلقنى.. كيف نعرف اننا لسنا مثله؟

أوقفت روشان السيارة على جانب الطريق و صمتت قليلاً ثم نظرت الى فى استنكار و قالت :

=كفي افكار غبية يا رشاد! اقول لك اننى المسؤولة!

ضحكت و قهقهت بعد هذا المشهد الدرامي الذي يذكرنى بتلك المشاهد السينمائية حين يقول البطل «هذا الكلام لا يحدث سوى فى الافلام» ألا يعلم البطل وقتها انه في فيلم؟! هذا الرشاد و هذه الروشان لا يعلمان ان الغزو قد تم بالفعل.. أطفأت السيجار الخاص بي و اغلقت الشاشة التى تعرض المشهد و أنا اتساءل.. هل تظن حقاً أيها الصديق انك فى الواقع الحقيقي و لست فى احدي عوالمنا الافتراضية؟! كلا لست فى احداهم؟ حسناً كلهم يظنون ذلك أيضاً.....

تمت

سعد الدين محمد بدر مصر

بحيرة الأموات

آدم محمـد هـو شـاب في العقـد الثـاني مـن العمـر، يَطمـح في أن يكـون كاتـب الغـد؛ لذلـك قـرر دخـول كليـة الآداب ليحقـق مُـراده، وتخصـص في قسـم اللغـة العربيـة وآدابهـا، فهـو يعلـم جيـداً أهميـة اللغـة العربيـة ودورهـا الهـام في الروايـة الناجحـة.

ومثل أي كاتب ناجح كان يحتاج آدم إلى الإلهام وكان مصدر إلهامُه جدتُه.

جدتُـه (ليـلى) لم يـرى هـو في جمالهـا أحـد يضاهيهـا بإسـتثناء ابنتهـا (أُمـهُ)، كانـت تجاعيـد وجههـا وشـعرها الأبيـض يزيدهـا وقـاراً وجـمالاً، ابتسـامتها التـي تجعلـه يضحـك مهـما كان حزينـاً، كان جمالهـا في عينيـه يزيـد يومـاً عـن يـوم.

وكأن السـماء أرادت ان يضحـك آدم ؛ فقامـت كليـة الآداب بإنشـاء مسـابقة تحـت عنوان(كاتـب الغـد)، وهـي تقـوم عـلى اختيـار أفضـل قصـة قصـيرة تُقـدم لهـم والفائـز سـيحصُل عـلى جائـزة ماديـة، في الحقيقـه آدم لم تُهمـه الجائـزة الماديـة؛ فـكان همـهُ الأول والوحيـد الفـوز بهـذه المسـابقة، فقـرر أن يبـدأ الكتابـة وأن لا يضيـع الوقـت فذهـب الي مُلهمتـه.

_السلام عليكم

_ وعليكم السلام ازيك يا آدم

_الحمد لله يا ليلى ، انتي عامله ايه..؟

_بخير يا حبيبي

_بوصي يا ليلى ..

_خير...

قـام آدم بقـص فكـرة المسـابقة عـلى جدتُـه مُيقنـاً قدرتهـا عـلى مسـاعدته؛ فهـو يعلـم انهـا تملُـك كنـز صغـير الحجـم ثمـين التمـن وهـو شـغفها بالقصـص والروايـات، وأكـثر قصصهـا التـي كانـت تقُصهـا لـه كانـت مـن القصـص التـي كانـت يقُصهـا عليهـا والدهـا وهـي صغـيرة.

_انا عنيا ليك يا آدم، انا هحكيلك القصة وانت أكتبها بطريقتك..

_ربنا يخليكي ليا يا ليلي

_استني بقى اشوف لك حكايه حلوه..... لقيتها!

عندما يتسلل الرُعب الي قلب أحدهم اعِلم أنهُ لن يتركه إلا عندما يقضي عليه.....

كذلـك الحـال في قريـة سُـكانهاَ كانـوا يعملـون في الزراعـة ويأكلـون مـن عملهـم، يعملـون مـن شروق الشـمس حتـى غروبهـا، ولا يخـرج بعـد غـروب الشـمس أحـدًا.

حياه روتينيه لكنها ابقتهم سعداء، على الاقل ابقتهم أحياء.

الا ان بـدا يختفـي أُناسًـا مـن القريـه واحـدًا تلـو الآخـر حتـى أصبحـت القريـة خاليـة لا يقربهـا أحـد خوفًـا مـن هـذه القريـة. قـال البعـض أن هـذه القريـه مسـكونه، وقـال الآخريـن انهـا تخاريـف ليـس أكـثر ، لكـن في الحالتـين لم يقربهـا أحـد .

الي أن جاءت أسرة صغيرة قررت أن تُقيم فيها وتزرع وتأكل مما تنبت الأرض.

الأسرة تكونت من الأب(سليم محمد)والأم

(فاطمه على) وأبنائهم (زكريا)و (احمد)...

قضوا وقتًا سعيدًا في هذه القرية استمر قُرابه شهرين إلى أن....

_رايح فين يا أحمد..؟

_مخنوق شويه هخرج اتمشى ومش هغيب

_بس الدنيا عتمه...

_متخفـش عليـا يـا زكريـا، بـس الأهـم متقولـش لحـد إني خرجـت أنـت عـارف إن بابـا محـرج علينـا منخرجـش بليـل

_ماشي بس متعوقش

_ربنا يسهل، سلام

خـرج احمـد يتمـشى قليـلًا، لقـد أحـبَّ الجـو، فـكان الجـو يملـؤه السـكينة والهـدوء، إنـه لا ينكـر أنـه تسـلل الخـوف إلى قلبـه لكنـه أصر عـلى أن يُكمـل سـيره، وودَّ لـو كان زكريـا معـه لكـن فجـأه....

_احمد الحقني....

_الصوت ده انا عارفه....

_احمد الحقني.....

_ده صوت زكريا ....

جري احمد ناحيه الصوت....

في الصباح

_ماما مشوفتيش احمد

_اشوفه فين هو مش كان نايم جنبك

_اه بس هو خرج اتمشى امبارح

_ايه؟!!

_فيه ايه.....؟!

_مش لاقين احمد يا سليم

_ايه؟!!

_اصل امبارح قالي إنه مخنوق، فخرج يتمشى شويه.

_وازاي تسيبه يُخرج، انا مش منبه إن محدش يخرج بليل.. اتفضل قدامي ندور عليه

_حاضر

بعد يومين...

_وبعدين يا سليم ابننا راح فين

_أنا هتجنن!

_يبقى خُرفات الناس طلعت صح

_ايه اللي انتي بتقوليه ده اكيد لا بكره نطلع ندور عليه تاني....

ناموا جميعهم لكن زكريا ظلّ متيقظاً آملاً أن يعود أخيه َلقد كان لا يستطيع النوم الا برفقة أخيه، فقرر الخروج لعله يعثُر عليه...

وهو سائر يبحث عنه.. سمع صوت يستغيث..

_الحقوني.!

_الصوت ده انا عارفه ده صوت احمد!! .....

بعد اسبوع

_عيالنا ضاعوا يا سليم بسببك

_بسببي ازاي؟!!

_لو كنت سمعت كلام الناس

_يووووه.... تاني حد يصدق التخاريف ديه برده

_التخاريف دي اللي ضيعت ولادنا

بعد شهر.....

_نجيب باشا!

_في ايه يا صابر؟

_في حد بلغ عن قرية وإن فيها ناس مقتوله

_طب وحددت موقع الخط بتاعه

_للأسف رمي الشريحة قبل ما نوصله

_طب اجمع القوات واسبقني على موقع الجريمة

_حاضر يا فندم....

_ نجيب باشا، لازم تشوف المنظر ده!! ..

لم يندهش نجيب كثيراً ، فلقد تعود على هذه المظاهر إنه يذكر أول جريمة قتل يحقق فيها في حياته،كانت فتاة في ريعان شبابها قتلها سائق زبحاً بأبشع الطرق ليسرقها، مُنذ ذلك الوقت لم يعُد يندهش كثيراً من جرائم القتل، الأهم الآن أنه يُري الأن ثلاثة جُثث (أب وأم وابن) تعجب كثيرا، فما الذي يدعو الي قتل عائلة فقيرة ليس معها شيئا وليس لها عدوات مع أحد على حد علمِه؟!!

_ايه سبب الوفاة؟

_لسه مش عارفين يا باشا تقرير الطب الشرعي لسه مطلعش؟

_اول ما يطلع ابعتهولي على مكتبي واقفلوا القرية ديه وامنع اي حد يدخلها.

بعد يوم....

_تقرير الطب الشرعي طلع يا باشا

_وايه سبب الوفاة؟

_ده اللي مقدروش يعرفوه

_نعم...؟!

_سبب الوفاة مش الانتحار او القتل او حتى الغرق رغم انهم كانوا في بحيرة

_وبعدين؟

_تفتكر خرافات الناس صح.؟!

خرافات ايه يا صابر انت هتتهبل ولا ايه....!؟

_طب هنعمل ايه يا فندم..؟

_هنستني اسبوع لو مظهرش دليل جديد هنضطر نقفل القضيه، و نأيدها ضد مجهول.

بعد مرور اسبوع .....

_صابر!

_ايوه يافندم

_أقفل قضية البحيرة قيدها ضد مجهول أحنا ضيعنا وقت كبير فيها...

_حاضر يا فندم....

_وبس يا سيدي دي الحكاية

_الله عليكي يا ليلى.. بس القصه دى حقيقيه ولا لا.؟!

_فكر أنت بقى

_مش مهم المهم إنها عجبتني

كَتب آدم القصة على هيئة قصة قصيرة تحت عنوان (بحيرة الأموات)، وأضاف جميع خبراتهُ في الكتابة حتى يجعلها تستحق القراءه ...

فاز آدم بالمسابقة تحت انبهار لجنة التحكيم، لقد أُعجبوا بالقصة، و أيقنوا أن آدم سيكون كاتب المستقبل.

بعد احتفالات دامت لآخر اليوم بالفوز المستحق.....

_بس فعلا القصة دي حقيقية ولا لا، مع إن كل

حكايات تيتة بتبقى من الحكايات التي كان والدها

بيحكهلها فجأة انتفضت آدم من على سريره مبتسماً ابتسامة انبهار.

آدم افتكر إن جدتُه قالتله إن هما لقوا تلت جثث يعني في حد ممتش، وكمان مقلتلهوش إن زكريا مشي ورا الصوت، يبقى زكريا ممتش وهو اللي بلغ بس ازاي برده جدته عرفت...؟!

تلخصت أسئلة آدم في جملة واحدة وهي اسم جدته

مريم الشحات السيد مصر

شيزوفرينيا عراقية

صمت ثقيل جاثم على جنبات الرصيف ، والطريق الأسفلتي المتهدل وسط بقايا تمثال تهشّمت ملامحه ، جسده يتفصّد عرقاً .. سأجف حتماً قبل وصولي .. اعتصر واجهة عمامته ليمسح عرقاً ضايق رؤيته وعاد ليتطلع إلى الملامح المبعثرة عند نهاية الرصيف المهروس .

- ما أبشع أن يتغير كل شيء هكذا .. !

قبل لحظات كنت متوارياً في دثاري ، أنعم بنوم هانئ متوسداً ذراع جاريتي الجديدة التي أهداها اليّ نديمي الرشيد بعد غزوته الأخيرة في بلاد الفرنجة ، إلا أن كابوساً مرعباً أقض مضجعي ، وجعلني أغادر ايقاعات أنفاسها الدافئة على حين غرة .. اللعنة على الأحلام ، وما تجره على أصحابها من ويلات

رفع رأسه الى السماء مبهوتاً ، غاضباً .. كانت سحابات سود تتوالد وترعى بهدوء .

- فـ ...ـآآآ ..سـ .. !

انتفض بشدة .. العقارب تتنزه في الليالي المترية .. هكذا قالت جدته وهو صغير .. ذكريات بريئة تتواثب لتنقض على ما بقي في جسده المتعب.. كان يبكي عندما كانت تحكي له قصة لسعتها من قبل عقرب غادر .. لكنه كبر ولا يدري كيف انتقل سم الخوف من مرحلة الطفولة حتى مرحلة النضج.

انتفض لحركة لايعلم مصدرها إلا أنه أحس بدنو عقرب موت يتجه نحوه .

قبل قليل كان برفقة وزير الديوان ، وأخبره أن نديمه الرشيد سعيد بصحبته ، وأنه سيسر إليه بشيء لن ينساه طيلة حياته المقبلة ، لقد تحفز للقدوم مبكراً ليغرس مجساته في ناصية الوجع ويعود ليكمل تفاصيل بشارته مع صديقه المخمور.

- اللعنة على الأحلام ، وماتجره علينا من ويلات .. ألم تجد غيري كي تصطاد فرحته بسنارتها المزعجة ، وتحيل موائد الفرح المؤجل فيها الى مأدبة للعزاء ؟

.. يالحظك العاثر ياأبا علي، لم تفترش يوماً وسادة الفرح إلا وداهمتها دموع الكوابيس ، فما شأنك و تلك العربة المذهبة وبما تصطبغ به من ألوان قاحلة ، ترسم صورة موت مجعّد مخفي بين عنق الحكاية ، وعنكبوت الزمن الجاثم فوق أوردة حلمك.

- الـ... فـ..ـآآآ..س..!

لم يستطع أن يرفع رأسه صوب السماء مرة أخرى ، وبخه شيخه في الكُتّاب على تبذيره حبر دواته وهو يحاول أن يتأمل نافذة كُتّابِهِ المتهرئة ليخط من بين شعاع أجنحة حمامها الواقف عليها جملته الأولى

- ..ـلـ..ـب الـ..فآآآآ .. س .. !

أكنـت تظـنّ وأنـت تتفاجـأ برؤيـة اسـمك محفـوراً عـلى حافـة التمثـال المقصـوف ، أنـك سـتكون شـخصاً مرموقـاً في المسـتقبل ، حتـى تنتعـل واقفـاً مـا تبقـى مـن حـذاء الحكايـة ، وتقـف مكانـه منتهـزاً لحظـة الفـوضى التـي عصفـت بالموجوديـن حتـى جعلتهـم يتسـابقون في صراع محمـوم لتهشـيم أروقـة بناياتهـم الضخمـة ، ونهـب مـا فيهـا مـن متـاع وأثـاث أتعبتـه يـد مـن اسـتهلكته مثلـما هـو واضـح مـن آثـار ماتقـادم عليهـا مـن شروخ وخطـوط ناعمـة ، ثـم ماهـذا الـذي كان يختبـأ بـين جنبـات قدمـه اليـسرى ؟ هـل كان صندوقـاً مذهبـاً موشـوماً بنقـوش فضيـة ؟ .. لا أعلـم .. فصرخـات أحـد الغربـاء المتوسـدين قطعهـم اللاهبـة فاجأتنـي حتـى جعلتنـي أنفـضّ مذعـوراً لأضيـع وسـط الجمـع المتجمهـر في وسـط الطريـق المحتقـن

- ..جـ..ـلـب .. الفآآآ .. س .. !

بعـض بقايـا ماتلفـظ بـه هـذا الغريـب كان عصيـاً عـلى الفهـم ، حتـى وأنـا اتذكـر بعضـا مـن مفـرداتي الأعجميـة التـي كانـت تتلفـظ بهـا جـدتي منـذ صغـري ، ولعـل لفظـة (آي فاونـد إت) ذكرتنـي بأغنيـة فارسـية إلا أن لفظـة(بوكـس) و (جـاك) الغريبتـين ضيعـت مـا أردت أن أتذكـره منهـا .. يـا تـرى مـاذا كان يقصـد ؟ ومـاذا كان يوجـد في تلـك العلبـة المذهبـة ...؟!

- إ..جـ..ـلـب الفأس ..!

وجـه والـده القابـض عـلى فأسـه بـكل قـوة في حقـل مـولاه البـصري كان يرمقـه بوجـع مسترسـل ، مدفـون بلهـاث قافيـة مـوؤدة ... مـات وهـو يضـع أنفاسـه في الضربـة الأخـيرة

- اجلب الفأس .. !

الذبابـة التـي تجـري في عروقـه جعلتـه يـدرك أنـه سيسـحق تمامـاً تحـت فـأس القـدر ، إذا هـو لم يتحـرك !

مخالفتـه لأمـر والدتـه وهـي تنهـره ، وتأمـره بالابتعـاد عـن والبـة بـن الحبـاب والجـري وراء ملذاتـه الفانيـة .. شـنيعة جـداً

تحركـت خطواتـه المعقوفـة باتجـاه إحـدى الأشـجار المعدنيـة ، المنتصبـة عـلى يسـار الرصيـف المهشـم .. توقفـت الحيـاة في داخلـه فجـأة .. لايـدري كـم مـن الوقـت مـرّ قبـل أن تتدفـق الدمـاء في عروقـه كسـيل هـادر لتهـدم سـد الخـوار مـن داخلـه

تراجـع قليـلاً إلى الـوراء .. اتـكأ عـلى بقايـا الشـجرة المعدنيـة التـي لم يجـد لهـا اسـماً ، نظـر باتجـاه قطعـة الحجـر التـي أعثرتـه وأدمـت كاحلـه الأيـسر حتـى جعلتـه يهـدئ مـن خطـوه مستسـلماً لعجـلات صمتـه اللاهـث .

قطّب حاجبيه ... غير معقول .. وجه لأحد شخوص بني العباس

أحـس بـشيء يوهنـه عـن الوقـوف ، إلا أن إرادة المفاجـأة أذهلتـه وأمرتـه أن ينهـض عـلى الرغـم مـن

وطأة مايحس به من الآم ومشاعر متضاربة .. يتقدم صوب الرأس .. يتأرجح ماشياً ، حتى يتمكن من القبض على قطعة من فصّ عينه اليمنى ، تأملها بحذر ، ثم أخذ قطعة أخرى من عمامة الرأس ، المطعمة بنقوش طالما ألفها وتعودت عيناه أن تغازلها في كل سهرة ، حاول أن يتلمس بعضاً مما أحاطها من تجاعيد وطيات متعجباً من دقة من قام بنحتها ، وكأنما صاحبها قد تم تحنيطه وتركه ليتحول مع ماتبقى من ملابسه وحليه إلى قطعة من الحجر .. دقة ماحملته من تفاصيل جعلته يغوص مع ذكريات أمسه (القريب – البعيد) متذكراً ألوانها وبريق الجوهرة المتربعة على أسفل الجبهة الموالية لغرة حاملها و.....

- ماهذا ؟ هل هذه كلمات منقوشة على حواف الجوهرة ؟ .. أم أنها مجرد نقوش أخرى .. انها كلمات فعلاً منقوشة بطريقة لايفهمها الا أهل ذلك الزمن .. ولكن ماذا جاء فيها : فأس ، كلكامش ، وحش .. ماهذا الكلام ..؟

مسح على ناصيته وأغمض عينيه قليلاً ، ثم فتحهما بهدوء ، حاول أن يسترجع بعضاً من أبجديات علومه التي برع فيها ، ليحاول أن يفكك جزءاً من خيوط هذه الأحجية الغريبة ، وماهي الا لحظات حتى فخر فاه ، فالكلمات هنا – على الرغم من بعثرتها – واضحةً جلية ، إنها تقول :- ((إذا كنت قد وجدت تمثال رأسي مهشماً ، فأبحث عن الفأس التي غرسها كلكامش في عنق خمبابا وحش غابة الأرز ، قبل أن يُفتَحَ بابٌ من أبواب الجحيم ويُنزل على هذه الأرض وحشاً أعتى منه ، أو من ثور عشتار المجنح ، أو من كلب مردوخ الأعور ذي الرؤوس الثلاثة ، حارس بوابات الجحيم .. لا تتوجل ، فقد كُتِبَ كُل ذلك على ورق الغيب ، وطالعتنا إياه نجوم السماء من قبل أن ندق إسفين الحجر الأول لهذه المدينة ، وقد قمنا بتخبئتها هنا إلى أن يتمكن الشخص المسافر إلى أثواب الغيب من العثور عليها ، فإن كنت ذلك الشخص ، فلا تتردد في دك رأس هذه الشجرة التي ستنهض من أوردة البذور المخبأة تحت أقدام تمثالك ..أسرع ، قبل أن ينزل الغول الذي يظنه البشر ، أنه طعم الله الموشوم بحريته الموعودة على أيدي الأغراب القادمين من وراء البحر .. أسرع ولتحفظك كل قوافي الشعر ، وليالي السمر التي تنعم بالنوم في أعتاب ذاكرتك الصدئة))

اندهش قليلاً من عمق ما تفصح به هذه الكلمات الغريبة ، حتى اهتزت يده وأسقطت ما تحمله على بقايا فم التمثال القاحلة

فتح فمه قليلاً ليتقيأ جزءاً من بخار الكلمات الصادحة بلعاب ما صادفه من متناقضات ، من لحظة نهوضه من أكتاف كابوسه وحتى سقوطه بين ثنايا فكوك خط استوائه .

حاول أن يتراجع لولا أن أصواتاً أطلقتها حجارته الملقاة بين قدميه داهمت مسامعه .. لم يكن صوت ارتطامها بالأرض بل كان صوت آخر ، هل يعقل أن تكون معاقرته للخمر قد سلخت عنه الحكمة حتى تحول إلى إنسان لا يفرق بين صوت الارتطام والتأوه ، دس يده بين طيات عمامته علّه ينزع من أذنيه بقايا ذلك الصوت ، حاول أن يهز رأسه ليطفئ طنينه من قطرات الودق المتساقط على هضبته المنبعجة .. لم يفلح

-آه يـا الهـي ماهـذا الصـوت الوافـد عـلى عذريـة مسـامعي ؟.. مـن أيـن يصـدر ؟.. كفـى أتركنـي ، أرجـوك .. لم أعـد أحتمـل

حركاتـه الهيسـتيرية لم تمنـع الصـوت مـن مداهمـة أذنيـه بصفـيره المـدوي ، تتلاقـح الأفـكار في ذهنـه وتتوالـد هديـراً ينتـشر بسرعـة عاتيـة ، ومحلقـاً فـوق سـماوات تشـظياته ، تحتويـه غمامـة مـن الأفـكار الهسـتيرية تلقيـه عنـد بقايـا الفـم المثلومـة شـفته ، بسـقوط لثامـه

- ما .. ماهذا .. هل هذا هو مصدر الصوت ؟!.. يا الهي أنه يؤلم

ملازمته لمسك صيوانا اذنيه لم يمنع الصوت من اختراقه

- يـا ألهـي .. هـل أنـا أحلـم مجـدداً أم أننـي لا أزال ملقـى خـارج بوصلـة حلمـي الأول ؟ ، أنقـذني يـا اللـه ..

يا رب إن عظمت ذنوبي كثرة

فلقد علمت بأن عفوك أعظم

أدعوك ربً كما أمرت تضرعاً

فإذا رددت يدي فمن ذا يرحم

إن كان لا يرجوك إلا محسن

فبمن يلوذ ويستجير المجرم

مالي إليك وسيلة إلا الرجا

وجميل عفوك ثم أني مسلم

- هههه من ماذا تستجير يا فتى ، فأنا الذي تألم من آثار إلقاء جوهرة عمامته على شفته؟ !

- من .. من أنت ؟؟!

- أنا بقايا التمثال الجاثمة تحتك ألم تعرفني .. ؟!

- مـا .. مـاذا ، تمثـال يتكلـم ؟ .. يبـدو أننـي قـد جننـت فعـلاً ، أو أكاد أجـن هههههـه .. لقـد جننـت ، لقـد جـن أبـو نـؤاس ، يـا شـماتة كل قـوافي الشـعر التـي قلتهـا ، وكل كـؤوس الخمـر التـي قبلتهـا ، يـا فرحـة شـعراء الأمـين بهـذه اللحظـة .

- توقف عن هذيانك يا فتى وأسمع لما أقول فلم يتبق لك الكثير من الوقت .

- مـاذا اسـمع ؟ ، وهـل بقـي مـن أذني شيء ؟ يسـتطيع أن يميـز شـيئاً بعـد الصـوت الهائـل الـذي نفثتـه فيـه .. ثـم مـن أنـت ؟، شـكلك مألـوف عنـدي إلا أننـي لم أتـشرف يومـاً بالتعـرف عليـك

- الآن لاتعرفنـي ، أيهـا المـولى الهجـين ، لقـد كنـت تسـتمتع بمجالـس السـمر عنـد وريثـي الرشـيد ،

وتتنعم ببذخ قصوره ، وتسألني الآن من أنا ؟

- الرشيد .. وأين أنا من هارون ، ومن قصره الذي أحيط بأسوار من أبنية وعمارة لم أألفها ، حتى ضيعت ملامح الطريق الذي كنت أحفظه عن ظهر قلب ، من أنت .. هل كنت من رواد مجالس مولاي أمير المؤمنين ؟

- أنا أبو جعفر ..عم والده و جد زوجته (زبيدة) ، وباني هذه المدينة العريقة ، وقد هشم المغول الجدد رأسي كما ترى ، وهم يحاولون أن ينفثوا سمومهم بما تبقى من رئتي على هذه الأرض .

- أها ..

- ما بك هذه الأرض التي تقف عليها جزء مني ، وكل ذرة من ترابها تُشكّل خلية من خلايا خارطة جسدي المتعب .

- وماذا تريد مني يامولاي ؟؟ ! .. أنا الآن ضائع وشريد ، خارج حدود زمني الذي أعرفه .. ولا أعلم ان كانت عيناي ستطالعني بشيء من مباهجه ، أم أنها ستقصيني كما أقصت رأسك الى موانئ الوجع الجريح

- أريد منك أن تتشجع ، وتسرع في انجاز الدور الذي وكلت به منذ الأزل

- دور أي دور .. عن ماذا تتحدث يا سيدي ؟

- لا تخف .. هدئ من روعك ، لقد أنتخبتك هذه الأرض لهذه المهمة من قبل أن تولد ، فأحطناك برعايتنا وكلائتنا إلى أن جاء الوقت الذي ترد فيه الجميل ، وتقوم بدورك الذي رسمته لك يد القدر

- يد القدر .. انتخاب .. مهمة عن ماذا تتحدث ، يبدو أن دوي الانفجار الذي بعثر رأسك قد طير ما تبقى من أبراج عقلك المنتهك...!

- تأدب يا فتى ، واستمع لما أقوله لك ، فلم يبق أمامك متسع من الوقت

- إلى ماذا أسمع إلى هذا الهراء .. آدمي يحدث حجراً ؟؟؟ هههههه

يهزه صوت الدوي مرة أخرى حتى يعود ليسقطه ذليلا بين ثنايا الفم المتهدل

- اسمع ... لقد وجدنا مخطوطة قديمة بين بقايا طوق كسرى ، الذي بنينا من حجارته هذه المدينة تخبرنا عن فأس مخبأة بين قصب الأهوار ، واعلمتنا عن ميزتها وعن من سيستخدمها ومتى فأخذناها وخبأناها حتى حانت اللحظة التي سيتم ايصالها إلى حاملها ، فنفثنا في نفوس الحاقدين شيئاً حتى يتجرَؤا ويحطموا هذا التمثال لنمكنه من الاستدلال عليها وتنفيذ ما رسم منه منذ الأزل

- لا تقل لي أنني هو الشخص المختار .. يالشماتة كل ماعلق في ذهني من علوم وفقه

- اسمع .. عليك أن تسرع ، فالشجرة التي سينبتها حفيد «جاك « من البذور المخبأة تحت قدمي تماثلك على وشك أن تنهض ... هل كنت تظن بأن هذا التمثال قد وضعناه عبثاً هنا ؟، أم أنك كنت شيئاً ذا قيمة في وقت لم يمجد شعرك إلا ماجنيك ؟.. يا لك من شخص مضحك فعلاً هههه.

- ها .. لقد تعجبت فعلاً ، حتى قلت في نفسي ، من هذا الذي يجرؤ على اذلال اسمي بوسم هذه المدينة الطاهرة بواجهة رسمي؟ .. ولكن ، عن أي بذور ، وأية شجرة تتحدث .. لم أفهم هذا الجزء من كلامك ياسيدي .

- عن بذور الشعوبية التي وصمت بها بعد موتك ، وبذور الاباحية والزندقة .. لقد جاء العابرون من وراء الشفق ليعيدوا احياءها ويغذونها بكل ما اعتمل في جوارحهم ، من كراهية وحقد ، حتى يَسِموا أولاد هذه الأرض بأختام النخاسة على جباههم بحجة أنها ((حرية لديمقراطية موعودة))

- ((ديمقراطية)) لا اعرف عن ماذا تتحدث ياسيدي ، هل نسيت أني من زمن آخر .؟!

- لا عليك ، فلايهم ان كنت تفهم جزءاً مما أقوله أم لا ، المهم أن تبحث عن الأداة التي خبأناها تحت مفاصل عنقي كي تهشم بها ما يحاولون غرسه .. أسرع قبل أن يحصل المحذور وحينها لن نستطيع أن نفعل شيئاً .

- أداة .. أي أداة ؟

- ما بك .. الفأس المذهبة التي قرأت عنها في الكتابة المنقوشة كطلسم حول جوهرتي .. أخرجها ولاتضع الوقت بسؤالاتك الفارغة ..ولكن احذر من أن تظهرها أمام أي شخص إلى أن تصل ، فهي شيء ثمين ، وقد يقتلك الواقفون حولك طمعاً في قيمتها .

- أمرك ياسيدي

- أخرجها .. وأعلم أنك ستدخل حلبة التاريخ وتنال عظمة لم تنلها طيلة حياتك المزعومة في قصور أولادي

حاول أن يوقظ عيون أصابعه وهو يشرع بتقليب الأحجار المتكتلة على ضريح الرأس المهدم

أصداء صوت والدته وهي تحثه على الخروج من القبو المنعزل ، يخالط شبقه للعثور على عنق الفأس المدفونة

تطالعه غمامة سوداء تتشكل في منتصف المسافة بين تمثاله وقصر الخلد

يأمره الرأس بالإسراع .

تقع عيناه على عجلات مجنزرة مفتوحة (الفوانيس) في وضح النهار ، وعلى أشخاص مدججين بمعادنهم اللاهبة وهم يغرسون شيئاً في رحم الأرض ويسقونها من جثث جماجمَ مشطورة من

النصف ويرددون عبارات غريبة مصحوبة برقصات تشبه حلبات القرود

((- ما بالك ياأبا نؤاس لاتضحك ؟.. الا ترى هذا الأعجمي وهو يرقص ويراقص قرده الأحمر؟

- أعذرني يامولاي ، لقد أهمني أمر جاريتي الحبلى ، وأنا أخاف أن تدهمها لحظة الطلق ولاتجد من يأخذ بيدها أو يسقيها شربة ماء

- لا تخف يا أبا نؤاس .. وأضحك فاليوم ((سمر)) .. وغداً ((أمر))

- نعم يا خليلي اليوم سمر وغدا .....)) بدأت الأرض تهتز وصراخ الرأس له بالأسراع

ظهرت سيقان خضر سرعان مأصفرت حتى اسودت وبدأت تتسارع في الصعود كأذرع أخطبوط عملاق وهي تنث من بين مساماتها دخاناً أسود ، انقطع الجمع عن الانسياق في هذيانهم وبدأت العربات المصفحة بمغادرة المكان وهي تردد بأبواق تشبه الحلازين

Came to your Destiny

Came to your Freedom

Ha ha ha ha

وبين هذا وذاك تتسارع الأذرع الخشبية بالتصاعد نحو الأعلى وسط صرخات الرأس ، داعياً أبا نؤاس للأسراع في البحث عن الفأس الذهبية ليوقف نهم الغول في الهبوط ، ويفلح في إسقاط هوية الهبة الغريبة ، التي يحاول أن ينزلها الغرباء من أعالي قفصها السماوي المغلق.

مهند يحيي حسن العراق

صَقِيع

كانت الساعة الحائطية تشير إلى الثانية بعد منتصف الليل، انسل كسارق هاو؛ حذاؤه الجديد أحدث ضجيجا أكثر فعالية من صفارات الإنذار رغم خطواته الحذرة، لم يشعل ضوء المكتب الذي يحفظه شبرا شبرا، توجه نحوي، كمّم فمي بيده في غفلة مني، ثم خطفني إلى حيث لا أدري، تاركا الآخرين.

وأنا في الجيب الداخلي لمعطفه، نال مني الهلع، تساءلت عما سيفعله بي، وأين كان حارس الشركة المسمى قيد سُباته «ف.ق» عندما اقتحمها؟

وصلنا إلى منزله بعد عشر دقائق من لهثه، كمن تطارده كلاب مسعورة، أخرجني بسرعة من معطفه، أمسك ورقة كتب عليها اسمَه :»خ.ن»، غرسها في قلبي ثم حملني إلى الثلاجة بعدما أحكم إغلاقي عن طريق لعاب لسانه المقزز.

هبّ هواءٌ منعش فانشرح صدري، ثم لم يلبث أن تجهم واختنق، تجرعت جحيم الصقيع بمرور الدقائق، اتقدَت في أحشائي برودة تخترق ألسنتُها الكيس البلاستيكي الشفّاف،الذي حبس به أنفاسي قبل أن ينفيني، عجزت عن مساورة قرّ ذلك السجن، لم أكن ميّتاً، ولا جثةً هامدة، لمَ وضعني في ذلك المُبرِّد؟

مرّ يوم ونصف على الاحتجاز الجائر، أخذني في معطفه صبيحة بداية الأسبوع إلى المكتب؛ حيث يكون أول الداخلين إليه حتى قبل سكرتيرة المدير، رماني وسط إخوتي،حملهم واحدا تلو الآخر، ودسّ في أفواههم أسماء تسعة عشر موظفا، وأنا الرقم العشرون (خ.ن).

لم أتصور يوما أن أعيش تلك الرتابة، وذلك الجو المهني الممل؛ كانت لي أمان مختلفة، كأن أَحْمِل كلمات نابعة من قلوب العاشقين، يفتحني محبٌّ فيذرف دموعا تلو الأخرى،يعانقني ويقبلني شاكرا...ليتني كنت رسالةَ اعتراف بالحب في زمن ميّ و جبران، أو رسالةً من كنفاني إلى السمان، أو من سارتر إلى سيمون...ليتي ظرفَ إخبارٍ بالقَبول في العمل لشاب تعَوّد حلقُه على مرارة البطالة والإقصاء، يحضنني بكل ما أوتي من اشتياق، ويحتفظ بي في مكان عزيز على قلبه للذكرى...تمنيتُ لو كنت رسالة منفي، يشكوغربته ومنفاه، يبوح لي بما أسرّ في قلبه وأخفاه، وقد يخلدني التاريخ يوما ما...لكني لم أتخيل ذلك الروتين المقيت.

ملْتَمِّين كنا، ننتظر المهام التي ستوكل إلينا لمغادرة المكتب، وبخلاف إخوتي، كنت خائفا من موضوع خطة النائب «خ.ن» ومديره «ك.ن» برغم أن رحلةً إلى «بلد الأحلام المؤجَّلة»، لا علاقة لنا بها ولا يمكن أن تؤذينا في شيء.

نادى «خ.ن» السكرتيرة وأخبرها بضرورة عقد اجتماع طارئ لسحب قرعة الفوز برحلة مجانية، فالمدير سيصل بعد لحظات، كما أمرها أن تقتني أظرفة أخرى إذ نَفِدَت، نَفَدَتِ المسكينة باستغراب

دون أن تنطـق، كنـت عـلى يقـين أن صدرهـا يكتـم ردا قاسـيا لا يومـن بقوانـين السُّـلم الإداري:

وهل سأقتني الأظرفة من جيبي؟

أعلن المدير عند وصوله وبحضور الجميع:

كـما وعدناكـم في بدايـة العـام، إذا حققـت الشركـة أرباحـا جيـدة وارتفعـت أسـهمها في السـوق، سـأمنح لواحـد منكـم هديـة قيّمـة وهـي الفـوز برحلـة مجانيـة المصاريـف، إلى بلـد الأحـلام المؤجلـة، هـل أعـددتَ أسـماءَ الموظفـين في الأظرفـة؟ سـأل نائبَـه بنـوع مـن السـلطوية المبالـغ فيهـا.

نعم سيدي، ما عليك سوى خلطها واختيار المحظوظ.

اقـترب المديـر مـن المكتـب حيـث تـم إلقاؤنـا مـن غـير صناديـق زجاجيـة، كـما تعودنـا خـلال الانتخابـات الرسـمية وغيرهـا، بعدئـذ خلـط بكلتـا يديـه ثـلاث مـرات ليظهرالشـفافية، تحسـس بـرودتي، ميّـزني، ثـم رفعنـي مـن بـين الآخريـن، هنيئـا للإسـم المتواجـد في هـذا الظـرف، أعلَـن.

مَـدّني إلى كاتبتـه الأنيقـة، لسـعَتها بـرودتي فقلّبتنـي بـين أناملهـا الرقيقـة، وكأنهـا أمسـكت جمـرة، دون أن تثـير اهتـمام الحضـور بألمهـا فتحتنـي، وأشـهرت اسـمه في وجـه الغافلـين : «خ.ن»

انصرَف الجميع وبقيا:

المديـر: كتابـة اسـم واحـد في الأظرفـة كلهـا، حيلـة مفضوحـة، كـما أن إقحـام ظـرف فاقـع اللـون قـد يثـير شـكوك العيـان

النائب: إذن الثلاجة هي الحل

المدير: هنيئا لك بهذه الرحلة الباردة.

كانـت تصلنـي تهنيئـات الموظفـين ل «خ.ن»، تمنّـوا لـه سـفرا ممتعـا، وهـو الـذي يُعـرف بمواظبتـه واحترامـه للزمـلاء، كـما أن المسـكين لم يغـادر حـدود الوطـن قـط، صرّح حـارس الشركـة «ف.ق» الـذي حـضر الاجتـماعَ بـدوره.

احمد شرقي المغرب

عم فتحى

زرنا صديقنا فتحى فى مكتبه لتهنئته بمنصبه الجديد .. لم يتغير مكتبه القديم رغم الترقية .. رحب بنا بحرارة و قضينا بضع دقائق نتبادل الحديث فى عدة موضوعات مختلفة قبل أن يتناهى إلى سمعى صوت طرقات على الباب .. يبدو أن صاحبى لم ينتبه له لأنه واصل الكلام .. بعدها بثوان عاد الطرق مرة أخرى .. لأول مرة أدرك أن صديقى ثقيل السمع .. ألتفت إليه لألفت نظره أن هناك أحد بالباب ربما يستأذن فى الدخول .. لوح بذراعيه بلا مبالاة و لم يعلق .. و لكن عندما قطع حديثنا للمرة الثالثة صوت تلك الطرقات الخفيفة نهضت و فتحت الباب لأتفاجئ بعدم وجود أحد .. الردهة الطويلة أمام المكتب خالية تماماً .. أخرج صديقى علبة سجائرة و أشعل واحدة بهدوء ثم أسترخى فى مقعده .. سألته بتعجب و أنا أشير إلى الطرقة الخالية :

- أين ذهب الطارق ؟

أجابنى بلا أكتراث : دعك منه .. ربما فتحى الفراش .. تلك طرقته المميزة

لم يفوت صديقنا الفرصة .. سأله مازحاً : و هل أعتاد أن يطرق الباب ثم يهرب كالأطفال ؟

- ربما أصابه الملل فأنصرف .. أو ربما غضب قليلاً لأنى أتجاهله كالعادة .. لا تقلق سيعود لاحقاً .. و لن أفتح له

سألته بتعجب : إذن تتجاهله عمداً .. لماذا .. ؟

قال دون أهتمام : لهذه قصة طويلة

أثارت كلماته فضولى ، قلت مازحاً : يبدو أن بالموضوع سراً ما تحاول جاهداً أن تخفيه

ضحك صديقى قائلاً : لا يوجد أسرار .. و لكنى لا أريد تضييع وقتكما سدى فى قصة لا تستحق

أجبته و أنا أعاود الجلوس على مقعدى : طالما ليس بالموضوع سراً فأحكى إذن .. على الأقل نعرف لما طرق الباب و هرب

سكت قليلاً ، ثم قال بأستسلام بعد برهه : حسناً .. و لكنى حذرتكما أنها حكاية مملة لا تستحق

أطفئ سيجارته ثم قال :

عم فتحى أقدم عامل هنا .. أستلم عمله من أول يوم أنشأنا فيه المجلة .. الجندى المجهول هنا كما يقولون .. نشيط دائماً لا يركن للراحة و لا يستقر فى مكان .. لم يكن فراشاً فقط .. بل أيضاً عامل النظافة و حارس الأمن و سكرتير أحياناً .. مجلتنا فى بداية عهدها لم تكن مشهورة و ميزانياتها محدودة للغاية و لهذا قام بكل تلك الوظائف راضياً .. أعتاد أن يأتى فى الصباح مبكراً قبل أى أحد .. ينظف المكاتب ثم يتوجه إلى المطبخ .. بمجرد أن يضع الماء ليغلى حتى يتوافد المحررين ..

يعد المشروبات طوال اليوم .. يستقبل أحياناً الزوار و يدلهم على المكاتب .. يصلح أى شئ مكسور .. و يرد على التليفونات عندما تكون السكرتيرة الوحيدة لدينا مشغولة أو متأخرة كعادتها .. هو أول من وقعت عيناى عليه عندما جئت إلى هنا .. مجرد محرر مبتدئ وقتها .. كنا نحسده على ذاكرته القوية .. لا ينسى شيئاً .. يحفظ عادات كل شخص .. فى الثامنة صباحاً يحضر لى قهوتى المعتادة .. وبعدها بساعتان تماماً يحضر كوب القهوة الثانى دون أن أطلب منه بعد أن عرف عاداتى .. مواعيده دقيقة تستطيع أن تضبط ساعتك عليها .. بمرور الوقت بدأت المجلة تنتشر تدريجياً و يزداد عدد المحررين فأكتفى بعمل الفراش بعد أن أحضرنا عاملة نظافة تساعده بعد الظهر

أتذكر أول مرة خرجت فيها المجلة للنور .. أعطيته نسخة من أول عدد نصدره فظل يحتفظ بها بحرص داخل درج خاص فى المطبخ .. و رغم أنه لا يقرأ لكنه ظل يتطلع للصور بشغف .. يخرج المجلة فى أوقات فراغه و يقلب فى صفحاتها بحثاً عن الصور و يطالعها بتركيز و يسرح مع أفكاره .. بدأ يطلب نسخة من كل عدد نصدره ليطالع الصور .. لا أعلم ما سر هوايته الغريبة تلك و لكنه كان شغوفاً بها بشدة .. بعد ثلاث سنوات من عملى هنا ترقيت و أصبحت كبير المحررين .. زادت أواصر الصداقة بينى و بين عم فتحى خاصة أنه كان يسهر معى أحياناً لأنجاز أعمالى المتأخرة .. و عندما أصاب أحياناً بالأرهاق من العمل .. يجلس ليسلينى و يحكى لى قصص من حياته

ذات صباح أتذكره جيداً .. جاء يطرق على الباب كعادته .. كنت مشغولاً بكتابة مقال فلم أرفع عينى عن الأوراق .. ظل متريثاً أمامى دون أن يصدر عنه أى صوت حتى أنتهيت .. عندما رفعت عينى أبتسم بتردد .. ألقيت نظارتى و فركت عينى و أنا أسأله بهدوءعن سبب أنتظاره بهذا الشكل .. سكت قليلاً ثم أجابنى بخجل أنه يريدنى فى طلب شخصى .. توقعت أنه يرغب فى أقتراض بعض المال رغم أنه لم يفعلها من قبل .. أبتسمت لأشجعه على الكلام .. أطرق إلى الأرض .. تهدج صوته قليلاً و هو يردد :

- أريد منك معروفاً لن أنساه طوال عمرى

سكت قليلاً .. بلع ريقه بصعوبه .. تلعثم و هو يكمل بأبتسامة مرتبكة : أريدك أن تنشر صورتى فى الجريدة

تمالكت نفسى بصعوبة حتى لا أضحك .. لو رأيت تلك النظرة الطفولية على وجهه وقتها لضحكت .. ملامحه فى منتهى البراءة و الجد فى آن واحد .. سألته برفق :

- لماذا تريد أن تنشر صورتك ؟

أجاب بعدة أجابات كلها تدل على السذاجة .. أخبرنى أنه يحب الصور و يحلم أن يرى و لو صورة صغيرة له فى المجلة حتى يريها لأصدقائه ، و يحتفظ بها بعد أن يتباهى بها أمامهم .. لم أشأ أن أصدمه بصعوبة الأمر .. الطريقة الوحيدة لأنشر صورة له هو بعد عمر طويل فى صفحة الوفيات ..رأيته ينظر نحوى و هو يتطلع بلهفة لردى .. تململت فى مقعدى .. فكرت فعلاً بجدية

فى أمره .. رغم سهولة طلبه و لكن صعب أن أنشر له صورة فى أى قسم من أقسام الجريدة .. الصفحات الأولى مخصصة بالطبع للأحداث السياسية البعيد هو عنها تماماً و لا يرغب بالأقتراب منها .. صفحات المجتمع لا تهتم سوى بأخبار الفنانين و المشاهير .. أستبعدت صفحة الرياضة بالطبع فالرياضة الوحيدة التى يجيدها هى ركوب دراجته البسيطة للعمل صباحاً .. ربما فى قسم الحوادث .. و لكنه لم يرتكب أى جريمة تستحق سوى أنه دخن مرة واحدة فقط فى شبابه كما حكى لى تحت ضغط زملائه و أقلع بعدها .. لم أجد حلاً و أشفقت أن أرفض طلبه بشكل مباشر فأؤذى مشاعره .. وعدته أن أفكر فى الموضوع .. تهلل وجهه بسعادة و أنصرف و هو يكاد يطير فرحاً

و بالطبع صدر العدد التالى من المجلة و لم تظهر صورته فيه .. جاءنى منكسراً .. أشفقت عليه .. لم أجد عذراً يمكن أن يقبله برضا دون أن أخيب أمله .. أضطررت أن أصارحه برفق و أوضح له صعوبة الموقف .. أخبرته بوضوح أنه لا بد من وجود سبب مقنع لنشر الصورة .. كأن يكون مشهوراً مثلاً .. أو صاحب قضية تهم الرأى العام .. أو حتى صاحب تجارب حياتية مميزة أستطيع نشرها ليستفيد منها القارئ .. عندما أنتهيت من كلامى معه سكت فتحى قليلاً .. فكر لثوان ثم أبتسم و هتف بتلقائية :

- أنشر قصة حياتى أذن

هذه المرة لم أتمالك نفسى فضحكت .. و يبدو أنه فسر ذلك على أنه أستحسان لفكرته .. فبدأ يتكلم عن أحداث من حياته الجوفاء و يستفيض فى رواية ما مر به .. أدركت وقتها أنه لا فائدة من محاولة أقناعه .. جلست على المقعد بأستسلام و أسندت رأسى على يدى أستمع بصبر لحكايته التى يرويها لى للمرة العاشرة

أنتابتنى فكرة وقتها .. لما لا أكتب قصة قصيرة أستلهم أحداثها من واقع حياته و أنشرها فى قسم الأدب .. على الأقل سيفرح بنشر قصة تحكى عنه و لن يعاود التفكير فى موضوع الصورة .. بدأت أنتبه أكثر معه و هو يحكى .. و لكن لخيبة أملى لم أجد أى شئ مميز يمكننى التوقف عنده .. حياة جوفاء .. مثال حى لحياة روتينية .. أرض مسطحة لا أنحناءات فيها و لا أرتفاعات .. أبوه كان ساعى بريد بسيط و توفيت أمه و هو صغير .. لم يتعلم القراءة أو الكتابة .. عمل صبى بائع لفترة طويلة قبل أن يغلق المحل الذى يعمل فيه لوفاة صاحبه فأنتقل للعمل كنادل فى مقهى شعبى .. لم يعجبه العمل فتركه و تنقل فى عدة وظائف بسيطة قبل أن يستقر به المقام للعمل فى جريدتنا .. يقضى طوال فترة الصباح هنا و ينهى عمله مساءاً فيتوجه إلى المقهى ليقضى بعض الوقت مع شلة من جيرانه ثم يعود لمنزله المتواضع و ينام للصباح .. يسهر فقط قليلاً يوم الخميس على المقهى .. و أحياناً يزور قريبة له مسنه تسكن فى مدينة أخرى .. تلك هى حياته تقريباً بدون أختصار .. حياة تسير على قضبان ثابتة كقضبان السكة الحديد .. لم ينحرف يوماً أو يحيد عن الطريق .. يقطع نفس المحطات يومياً .. و ينتهى دائماً عند النقطة التى بدأ منها .. كيف يمكننى أن أضع حياة كتلك فى قصة أدبية مشوقة تثير القارئ .. قصته خالية من أى أحداث

مثيرة و محبطة لأى كاتب يود صياغتها

قاطعت لصديقى : و لكن فى داخل كل منا قصة تستحق النشر .. هذا ما يردده الأدباء ..

هز صديقى رأسه ثم قال : كلام نظرى لا ينطبق على الكثير و منهم عم فتحى .. ماذا أكتب عنه .. يستيقظ صباحاً و يقضى اليوم فى العمل ثم يذهب لمنزله للنوم .. حتى أحلامه لم يكن له أحلام أو طموحات كبيرة .. إلا حلمه بالطبع بنشر صورته .. لم يحلم أن يتزوج أو يكون له أولاد لضيق ذات اليد .. و طموحه لا يتعدى أن يحافظ على عمله كفراش .. ليس له مغامرات .. أو حتى مشاريع خاصة يود تنفيذها .. من سيستمتع بقراءة الأحداث كتلك ..

على العموم وعدته بأعادة النظر فى الموضوع .. قررت أن أتركه عدة أيام لعله ينسى الأمر و لكن مع مرور الأيام زاد هوسه .. عندما نشرنا العدد التالى و لم يجد صورته جاء ليعاتبنى .. لمحت نظرة أنكسار فى عينيه .. لم أره محبطاً من قبل بهذا الشكل .. و بعد صدور عدد آخر دخل المكتب يحمل القهوة بيد و بيده الأخرى يطبق على نسخة من المجلة .. بسط المجلة أمامى و أشار إلى صورتان لأثنان يبدو من هيئتهما أنهما بسطاء .. سألنى بعتاب لماذا لم أنشر صورته مثلهما فلا يبدو عليهما أنهما من المشاهير أو نجوم المجتمع .. تصفحت المجلة بهدوء .. الصورة الأولى لشخص مريض نشرنا ألتماس لوزير الصحة لعلاجه فى الخارج و معها صورته .. و الثانى تعرض للنصب فنشرنا قصته حتى نحذر الناس و بالطبع نشرنا صور المقابلة معه بعد أن تطوع بذلك .. حاولت أن اوضح له الأمر و لكن لم يبدو عليه الأقتناع .. لو كان يجيد القراءة لطلبت منه أن يقرأ المجلة ليتاكد من كلامى بدلاً من أن ينصرف و نظرة الشك تلك تظهر فى عينيه بوضوح .. و رغم مرور الأيام و تجاهلى له لم يفقد الأمل .. و عرفت لاحقاً أنه حاول مع عدد من الصحفيين هنا .. و لكنه قوبل بالأستهزاء منهم

مرت سنوات على مجلتنا .. تعرضنا للأغلاق و المصادرة عدة مرات .. و غادر عدد كبير من المحررين و حل محلهم عدد أكبر .. أنتشرنا و توسعنا .. جددنا ديكورات المكتب و غيرنا الأثاث .. أصدرنا المجلة فى البداية شهرياً ثم أسبوعياً .. كل شئ تغير إلا ألحاح عم فتحى .. لم ييأس و ظل يذكرنى بطلبه على فترات متباعدة .. أنتظر دوماً بأمل أن أحقق رجاءه رغم تجاهلى الدائم له الذى أستمر لسنوات .. حتى تفاجئنا ذات صباح بغيابه

لأول مرة من أثنتى عشر عاماً لا يحضر .. لم يغب يوماً من قبل .. أعتاد يومياً أن يكون أول من يصل لمقر المجلة و آخر من يغادر حتى أصبح جزءاً من المكان لا تألفه أعيننا بدونه .. و عندما تواصل غيابه لليوم الثانى أرسلنا مندوباً من المجلة للسؤال عنه .. عرفنا أنه مرض فجأة .. أصيب بألتهاب رئوى حاد و نقلوه للمستشفى .. لم يكن عم فتحى بالشخص قوى البنيان و لكنه لم يمرض قط .. و كأن الطبيعة أرادت أن تعوضه عن ضعف بنيانه بمناعة قوية ضد المرض .. و لكن مناعته أنهارت فجأة .. زاره بعض المحررين فى المستشفى و كنت أنوى مشاركتهم الزيارة و لكنى أضطررت للسفر لتغطية مؤتمر هام .. أحد الزملاء أتصل بى و أبلغنى أنه سأل عنى و كان يرغب فى رؤيتى فصممت على زيارته بعد أنتهاء المؤتمر .. و لكنه مات بعد عدة أيام .. لم يكن له أقارب

هنا فتولت الجريدة كل شئ و دفن فى أحد مقابر الفقراء .. و لأن المصائب لا تأتى فرادى .. صودرت جريدتنا بعد أن نشرنا تحقيقاً فى قضية هامة رغم قرار النائب العام وقتها بحظر النشر فى تلك القضية .. و عندما عاودنا النشر .. كان الوقت قد فات لنشر نعياً له .. مرت سنة الآن منذ وفاته و ترقيت حتى أصبحت رئيس التحرير .. و جئنا بساعى جديد ليحل مكان عم فتحى .. هذه هى حكايته كلها .. كما ترون .. لا أستحق أن أكتب قصة عنها أو تحقيقاً و أنشرها

سكت قليلاً .. سألته بدهشة : و لماذا ظننت إذن أنه هو الطارق ؟

أرتشف قليلاً من كوب القهوة أمامه .. قال كمن يتذكر شيئاً :

نسيت أن أقول لكم .. بعد عدة أيام من وفاة عم فتحى وقعت بضع حوادث غريبة فى المجلة .. أناس تسمع صوت جلبة فى المطبخ رغم أن لا أحد هناك .. أيضاً الفراش الجديد الذى عمل هنا أخبرنا أنه يلاحظ أصوات قادمة من المكاتب عندما يأتى فى الصباح .. و كأن شخصاً ينظفها.. و عندما يتحقق من الأمر يجد المكاتب خالية .. و بواب العمارة يؤكد أنه يرى أحياناً الأنوار مضاءة لفترات متأخرة فى المساء حيث أعتاد عم فتحى السهر مع بعض المحررين الذين يمكثون لأنجاز أعمالهم المتاخرة رغم أنه لم يعد أحد يفعل ذلك الآن .. و بدأت أسمع صوت طرق على الباب فى نفس الأوقات المنتظمة التى كان يقدم عم فتحى فيها قهوتى المعتادة .. نفس طرقته المميزة على الباب .. كتلك التى سمعتموها .. و عندما أفتح الباب لا أجد أثر لأحد .. و بعض المحررين أيضاً حدث معهم نفس الشئ .. و بالذات القدامى منهم .. و أستمرت هذه الطرقات من يومها حتى الآن .. الغريب أن عم فتحى كان يحتفظ ببضع أعداد من المجلة فى درج خاص داخل المطبخ .. أعداد خاصة ممتلئة بالصور أكثر و منها العدد الأول للجريدة .. و لكنها أختفت كلها رغم أن الفراش الجديد رآها هناك أول يوم أستلم فيه العمل هنا .. و لكنها أختفت بعدها .. كما أن بعض الصور المعلقة على الجدران تحطمت أطارتها .. فلم نعد نعلق أى صور على جدران المكان

توقف صديقى عن الكلام لبرهة .. خيم علينا الصمت .. نظر فى ساعته قائلاً بسرعة : يبدو أن الوقت تأخر .. سأدعوكما للغذاء بمناسبة الترقية ..

نهض فخرجنا من مكتبه دون كلام .. كنت فى حالة صدمة مما سمعت .. سرنا فى الردهة الخالية تماماً .. يبدو أن معظم المحررين فى أستراحة غذاء أو أنهوا عملهم بالفعل فالمكان شبه خالى .. أقتربنا من المطبخ .. تسمرت فى مكانى عندما تناهى إلى سمعى صوت قادم من داخله .. نظرت لصديقى و لكنه أكمل طريقه بشكل طبيعى فسرت معه .. مع أقترابنا أزداد الصوت وضوحاً .. صوت مياه تغلى و كأن شخصاً يعد مشروباً و معها صوت تقليب صفحات .. أشار صديقى إلى كرسى بجوار المطبخ تماماً :

- هنا أعتاد أن يجلس عم فتحى ينتظر أشارة أحد من الموظفين .. و هنا المخزن ..

ظل صديقى يتكلم و نحن نعبر أمام المطبخ .. لم أنتبه لأى من كلامه لأنى كنت مشغولاً بمعرفة ما يدور داخل المطبخ .. بمجرد أن أصبحنا أمامه حتى ألتفتت ببطء لألقى نظرة سريعة بداخله

.. لم يكن هناك أحد .. المكان خاوى تماماً و الصوت توقف بمجردنا أن عبرنا أمامه .. أقشعر بدنى .. بمجرد أن تجاوزنا مدخل المطبخ حتى عاد الصوت مرة أخرى بوضوح .. سيطرت على نفسى بصعوبة .. سرت قشعريرة باردة فى جسدى رغماً عنى .. سرحت قليلاً قبل أن أنتبه على صوت صديقى مكملاً كلامه :

كلما تذكرت عم فتحى شعرت بالشفقة نحوه .. حاولت أن أكتب عنه عدة مرات و لكنى حتى الآن لم أجد أى شئ مميز فى حياته ..

ثم تنهد و هو يلوح بيديه بيأس قائلاً : ليتنى أجد أى شئ مثير فى قصة حياته لأكتب عنه على الفور

احمد جمال حميد مصر

فَيْرُوبَكْتِيرْيَا الحُّب

الثامـن والعـشرون آذار، تشـير السـاعة الى الثامنـة ليـلا ، تمـددت «تيفاويـن» عـلى سريرهـا في غرفتهـا المظلمـة تُحـدق بالسـقف، تفكـر بالـلاشيء دموعهـا تنحـدر بصخـب عـلى وجنتيهـا بينـما هـي هادئـة، يـكاد العنكبـوت القابـع في تلـك الزاويـة لا يشـعر بوجودهـا، تُناديهـا جدتهـا مـن وراء البـاب «تيفاويـن» يـا ابنتـي افتحـي البـاب وحدثينـي قـد مـرَّ شـهرين وأنـتِ عـلى هـذه الحالـة، ارحمـي نفسـك وكـوني قويـة لأجلـه فهـو يحتاجـكِ، قومـي الآن وكفكفـي تلـك الدمـوع فلـن تزيـدك إلا هوانـا، عـادت الجـدة إلى غرفتهـا تتابـع حصـة فكاهيـة في إحـدى القنـوات الفضائيـة عـلى شاشـة التلفاز،أمّـا «تيفاويـن» أخـذت تُفكـر في كلام جدتهـا وتُفكـر بمـا أخبرهـا بـه الطبيـب اليـوم في المستشـفى، أخبرهـا ان حالـة «يـزن» في تدهـور مسـتمر ولا سـبيل لإنقـاذه مـن سرطـان الـدم أو مـا يُعـرف باللوكيميـا؛ فقـد انتـشر فيـه بسرعـة وأصبـح حـاد ومـن المعجـزة شـفاؤه.

تستمر بالبكاء بحرقة، تختلط الكلمات في رأسها، تتقلب يمينا وشمالا،

تذكـر أول يـوم رأت فيـه «يـزن» صدفـةً في كليـة الهندسـة المعماريـة ايـن كانـت تنتظـر صديقتهـا «رؤيـة» التـي سـاهمت في جعـل العلاقـة بـين «تيفاويـن ويـزن» تصـل الى مـا هـي عليـه اليـوم، كان يومـا مشمسـا مـن اواخـر شـهر آذار بلسـعات بـرد خفيفـة، أطـال النظـر في عينيهـا البنيتـين وشـعرها الكسـتنائي، بادلتـه النظـرات نفسـها نحـو عينيـه وشـعره الأسـود كقطـع الليـل، غـادرت مـع صديقتهـا وأخـذت جـزءا مـن «يـزن» خبأتـه بـين دفتـي قلبهـا، جـزء قـد يصنـع المعجـزات في حـدود وقـت لا يلـد المعجـزات ولا حتـى يتوهـم بكينونتهـا.

في حـدود السـاعة العـاشرة ليـلا غـادرت «تيفاوين»سريرهـا لتجلـس إلى الطاولـة ، فتحـت حاسـوبها وبـدأت تتصفـح بريدهـا الإلكـتروني لتجـد رسـالة رفـض لإسـتكمال أبحاثهـا في مركـز الأبحـاث الـدولي للبيوتكنولوجيـا في «ليهـو» بهـواي، هنـا أجهشـت بالبـكاء وبقـوة أكـثر هاتـه المـرة؛ لانهـا تـرى طموحاتهـا تتـلاشى أمامهـا الواحـدة تلـو الأخـرى؛ خطيبهـا عـلى فـراش المـوت، وحلمهـا أن تُصبـح باحثـة في مجـال بيولوجيـا الخليـة والجزيئـة مقيـد في سـجن «الجزائـر»؛ لا هـو يـرى النـور هنـا، ولا في أي بلـد غـربي آخـر.

مـرَّ أسـبوعان وهـي عـلى تلـك الحالـة كئيبـة حزينـة شـاحبة، فاقـدة للأمـل تذهـبُ للعمـل صباحـا في مخـبر الأبحـاث الميكروبيولوجيـة، تعـود مسـاءا حاملـة بعـض الأغـراض التـي أوصتهـا جدتهـا أن تجلبهـا حـين عودتهـا، تدلـفُ البـاب بصمـت، تقبـل جدتهـا، تتنـاول بعـض الطعـام، ثـم تدخـل غرفتهـا لا تتحـدث ولا تبتسـم، لا تجـد الجـدة حـلاً لمواسـاتها؛ فمصيبتهـا ليسـت هينـة، تـزور الجـدة «يـزن» في المستشـفى بـين الحـين والآخـر، فيسـألها عـن حفيدتهـا وعـن غيابهـا فتُخـبره أنهـا منهـارة وقـد فتـك بهـا الحـزن، وأنهـا لا تجـد حـلا لإخراجهـا مـن تلـك الحالـة الفظيعـة، اتصـل «يـزن» ب»تيفاويـن» وأخبرهـا أنـه يـود رؤيتهـا حـالا ثـم أغلـق الخـط دون أن يسـمح لهـا أن تعتـذر كعادتهـا...

تجلـس بجانبـه موجهـة وجههـا إلى النافـذة، يُحـدق فيهـا هـو كعادتـه يخبرهـا أن تنظـر في عينيـه،

فتفعل فيقول لها إن الموت حق وكل نفس لابد أن تتجرع من كأس الموت، يقول»عزيزتي إني راحل لا محالة فلا تهجريني قبل الموت، يكفيني أن الموت سيبعدني عن أحبتي ؛ فلا تفعلي ذلك قبله رجاءا»، انفجرت «تيفاوين» بكاءً، وأخبرته أنها لا تستطيع رؤيته يموت هكذا ببطئ، وأنها تموت في الساعة ألف مرة بسبب حالته، احتضنها وهمس لها :»لا تحرميني من بُنِّ عينيك؛ لعلي به أستجدي نفساً جديدا، او أموت وهو آخر أروع مشهد»،شحنها ببعض الإيجابية وتركها تعود الى البيت وهي نوعا ما سعيدة.

في صباح اليوم التالي كانت تُراقب شروق الشمس من نافذتها وكوب القهوة في يدها يتصاعد منه البخار إلى زجاج النافذة،يرسم بقطرات منه منحنيات على الزجاج، الجو خارجا بارد وهي لم تنم الليل بأكمله، كومة الأوراق في سلة المهملات، وأخرى على سريرها، بعضها على الأرض وحاسوبها مستيقظ أيضا وقرابة العشرة نوافذ في حاسوبها مقالات ومواضيع علمية وكلها بالانجليزية.

رددت «تيفاوين» جملة قبل خروجها من غرفتها :»لا يمكن ان تغادر هذا العالم، أؤمن بالقضاء والقدر كما أؤمن أننا لم نؤتَ من العلم سوى القليل، لا زال هناك الكثير لنكتشفه ونسخِّره لخدمة الانسانية،أيُعقل أن يكن داء دون دواء؟هه، لا»

أغلقت باب غرفتها وراءها ، قبَّلت جدتها قائلة» لاتقلقي فأنا بخير ولا أريدك أن تُرتبي غرفتي، دعيها كما هي».

تمتمت الجدة أدعية حمد وشكر فحفيدتها الآن تبدو على ما يرام، أعادت شريط الذكريات وهي مبتسمة يوم وُلدت الصغيرة، وأعطتها جدتها هذا الاسم الأمازيغي الذي يحمل معنى» أولى أنوار شروق الشمس على الجبل»، اليوم فقط التمست ذاك النور على وجهها التي أُظلمت سرائره لمدة شهرين ونصف.

أنهت «تيفاوين» عملها واتجهت الى مكتب مدير المركز لتُحدثه بخصوص موضوع علمي، بحكم أن هذا المدير درس اختصاص المناعة والفيروسات،

سألته إن كان هناك فيروس حميد يستطيع القضاء على الخلايا البيضاء الزائدة الغير مكتملة النضوج ؟فأجابها بعدما صمت لثواني، هناك فيروس فقدان المناعة المكتسبة «الايدز» ولكنه ليس حميد،أضف الى ذلك هذا الفيروس يقضي على كل الخلايا البيضاء ليس فقط الغير مكتملة النضوج، فسألته مرة أخرى وبتوتر: ألا يوجد غيره؟ فأخرج من درج مكتبه كتابين أحدهما حول أندر الفيروسات في العالم والآخر حول كل أنواع البكتيريا المكتَشفة لحد الساعة، وقال لها: ستجدين إجابتك في أحد هذين الكتابين، وإن لم تجدي اختاري أحد الأنواع القريبة للهدف الذي تنوين القيام به واعلميني لأساعدك، لم تجد «تيفاوين» كيف تشكر المدير «فهد» على كرمه وسخائه وعادت الى البيت بعدما زارت «يزن» وأخذت منه جرعة تفاؤل وأعطته بالمقابل جرعة حب؛ ليصمد في وجه المرض ولا يستسلم لهيجان أمواجه على حياته...»يزن» لا يريد ترك هذا العالم؛ لأنه يُحب «تيفاوين»ويريد أن يُكمل رحلة العمر معها.

أخذت تلتهم المعلومات المتواجدة في الكتابين وتبحث عن جوهرتها، تبحث عن الأمل عن شيء قد يُشفي لها خطيبها، أن يعيد إشراقة الحياة أن يبدد غيوم اليأس من حياتها، استغرقت أياما تبحث فيها وتقرأ حتى توصلت أخيرا الى حلين لا ثالث لهما :أولهما فيروس الايدز الذي أخبرها عنه الدكتور «فهد»،والذي كانت تعلم بأمره قبل أن يُخبرها به الدكتور والثاني بكتيريا شفافة اللون قصيرة الحياة تعيش في غلاصم سمك يسمى»ملاك الامبراطور» يعيش بجوار الشعاب المرجانية الموجودة غالبًا في المحيطين الهندي والهادي من البحر الأحمر إلى هاواي وجزر استرال

هذا النوع من البكتيريا يستطيع تفكيك الخلايا إذا تم الإلتصاق بينهما وتصفية الجسم من بقاياها.

عادت «تيفاوين» إلى مديرها تخبره عن أهم ما وجدت وأن مبتغاها كائن دقيق يدمِّر مستعمرات الخلايا البيضاء الغير ناضجة في الدم،وأن حقن هذا الكائن في جسم الإنسان يضمن عدم الإضرار به، فأخبرها أن مركز الأبحاث الذي يعملان فيه، يملك عينات من فيروس الإيدز مخزنة لأغراض البحث العلمي ولتحقيق ما تصبو إليه «تيفاوين» يجب تحويل الفيروس جينيا ليكون مهيأ لمحاربة فقط الخلايا الغير ناضجة وأيضا لا يسبب أي ضرر لجسم الإنسان، بحثت «تيفاوين» عن طريقة هجوم فيروس الإيدز للخلايا فوجدت أن له مثبتات مناسبة تماما للمستقبلات الموجودة على سطح الكريات البيضاء، وهنا وجهت بحثها نحو «الفروقات بين الخلايا البيضاء الناضجة والغير ناضجة» فوجدت أن للثانية مستقبلات تختلف عن الأولى، فظنت أنها بلغت ضالتها ولكن الإيدز يدمر المناعة وسريع التغير والتحايل على المناعة ؛ فحتى لو أحدثت تغيير جيني على الحمض الريبي للفيروس ليلائم تثبته على مستقبلات الخلايا البيضاء الغير ناضجة ستبقى مشكلة؛ وهي أن مناعة الجسم تُهاجمه كَونه غريب عن خلايا الجسم، وهنا يأتي دور الفيروس في التخفي وإرهاق مناعة الجسم وأيضا عندما تتغير مستقبلاته لن يتمكن من القضاء على ما نريد بل بالعكس سيتجه صوب الخلايا الناضجة ويزيد الطينة بلَّة ويدمر الجسم كليا، صرخت «تيفاوين» ياإلهي ماهذا؟ وكانت الساعة وقتها الرابعة فجرا، تكاد تُجن مع الأبحاث التي تقوم بها لا تنام إلا سُويعات وتحاول التخيل والبحث كثيرا لكي تجد سبيلا ينزع المرض من جسد «يزن»، تبحث ليل نهار عن طريقة لتصنع معجزة، تدعو كثيرا موقنة أن الدعاء يغير القدر.

كَثرت لقاءات «تيفاوين» و»فهد» ونقاشاتهم المطوَّلة عن هذا البحث العلمي الصعب، وبدأ الجاهلون من العمال يصدرون إشاعات حولهما وينعتون الفتاة بالخائنة، ورد هذا الخبر «يزن» فازدادت حالته سوءًا، ولم يسمح لخطيبته بأن تراه أو تشرح له،غادرت «تيفاوين» المدينة حاملة معها الأسى والخيبة كأنثى حَبلت من زوجها المخمور فنعتها يوم وَلدت بأنها عاهرة. استقرت في بيت «رؤية» صديقتها التي تزوجت في المدينة المجاورة لمدينتها .

ربتت «رؤية» على قلب صديقتها وشجعتها لمواصلة أبحاثها،اتصلت «تيفاوين» بجدتها وأخبرتها بالقصة فكان موقف الجدة هو نفس موقف «رؤية» وهكذا أكملت خطيبة «يزن» أبحاثها لأجله؛ لأجل الحب الذي لا يتوقف عن النمو في داخلها كسيقان أشجار الخيزران، كمتانة حبال المرساة.

لازال أمـر فـيروس الايـدز حـلا ومشـكلة في ذات الوقـت، لا تكـف «تيفاويـن» عـن البحـث بشـأنه لا سـيما وأن الطبيـب أخبرهـا آخـر مـرة أن «يـزن» في آخـر مراحـل السرطـان، لم تعُـد تميـز إذ الشـمس في شروق أو غـروب لكـثرة إنشـغالها وإهتمامهـا الكبـير ببحثهـا؛ ذاك الأمـل الـذي يُمِدُّهـا بالحيـاة، يعينهـا عـلى النهـوض كل مرةلأجـل خطيبهـا الـذي كـذَّب صِـدْق حبهـا لا يغـادر العـالم .

فـيروس الإيـدز هـذا الكائـن الغريـب يحمـل صفـة المهاجمـة سـنجعله يحتفـظ بهـا ونغـير كل حمضـه الباقـي،أو نحمـل بعـض صفاتـه وننقلهـا إلى كائـن آخـر، إنـه الجنـون بعينـه كيـف تقـوم بحفـظ بعـض جيناتـه في كائـن آخرهـذا لا يُعقـل وكأنهـا سـتجعل كائنـا جديـدا يسـتقبله العـالم ؟؟

تلـك البكتيريـا الشـفافة تعمـل عـلى تعقيـم وتنظيـف غلاصـم سـمك «ملـك الامبراطـور»، وأثبتـت الأبحـاث أنهـا تعمـل كمنظفـات مـن أي رواسـب حيويـة

قفـزت «تيفاويـن» مـن سريرهـا قائلـة وجدتهـا سـنحمل بضـع مورثـات فـيروس الإيـدز طبعـا بعـد تعديلهـا وزرعهـا في الحمـض النـووي للبكتيريـا الخاصـة بسـمك «ملـك الامبراطـور» وسـأحقنها في «يـزن» سـتقوم البكتيريـا بمهاجمـة الخلايـا البيضـاء الغـير ناضجـة ؛عنـد التثبيـت سـتتحرض قـوة أخـرى للبكتيريـا وهـي عمليـة التنظيـف بإفـراز إنزيـم نـادر جـدا يعمـل عـلى تفكيـك الخلايـا أو أي شيء آخرمثبـت عـلى مسـتقبلات البكتيريـا ، هـذه البكتيريـا مسـالمة جـدا ولا تشـكل خطرعـلى حيـاة الإنسـان، ابتسـمت «تيفاويـن» لنفسـها في المـرآة وهـي تقـول الوجهـة الآن إلى جـزر هـاواي لاسـتخراج البكتيريـا الكنـز كـما أسـمتها هـي.

مـرَّ عـلى سـفر «تيفاويـن» أربعـة أيـام، وكالعـادة مجتمعنـا لا يهمـه سـوى نقـل الأخبـار وهاتـه المـرة القطـرة التـي كادت أن تُفِيـضَ الـكأس، تأزمـت حالـة «يـزن» لحظـة سـماعه أن خطيبتـه سـافرت إلى هـاواي، يظنهـا نَسَـت أمـره وذهبـت إجـازة لتلتقـي ب»فهـد» لأنـه هـو الآخـر سـافر الى هنـاك ،ولا يعلـم أنهـا جازفـت بحياتهـا لأجلـه.

في مطـار «ليهو»بهـاواي تـم توقيـف «تيفاويـن» للتفتيـش، ربمـا لم ترتعـب في حياتهـا مثلـما ارتعبـت وقتهـا، مـرَّ التفتيـش بسـلام ولم يُكتَشـف أمرهـا ؛ فقـد كانـت تحمـل فـيروس الإيـدز مخـزن في عبـوة صغـيرة مخصصـة للإحتفـاظ بـه، وضعتهـا في حقيبـة المكيـاج، ونفـذت بأعجوبة،لـو تـمَّ الإمسـاك بهـا سـتُدان طيلـة حياتهـا لأنهـا نقلـت عينـة بيولوجيـة خطـيرة مـن قـارة إلى قـارة أخـرى دون ترخيـص قانـوني.

فـور خروجهـا مـن المطـار وجـدت «فهـد» ينتظرهـا وأخبرهـا أنـه وفَّـر سـمك»ملك الامبراطـور»، وأنـه يجـب أن يسرعـوا الى مركـز الأبحـاث الـدولي في البيوتكنولوجيـا ، صُعقـت «تيفاويـن» وتوقفـت مكانهـا فسـألها: «فهـد» مابـك تحـركي لم يبقـى لدينـا وقـت، أجابتـه :نفـس المركـز الـذي رفـض طلبـي لمواصلـة أبحـاثي ....

ركبـا السـيارة واتجهـا نحـو مركـز الأبحـاث، أيـن قامـت «تيفاويـن» بغسـل غلاصـم السـمك بمحلـول خـاص وقامـت باسـتخراج البكتيريـا الشـفافة ثـم بعـد ذلـك قامـت بوضعهـا في وسـط غـذائي لتتكاثـر.

تـم تعديـل جينـات الهجـوم لفـيروس «الايـدز» لجعلهـا تهاجـم خلايـا الـدم البيضـاء الغـير ناضجـة بتشـكيل مسـتقبلات خاصـة، وهـذا تـم

بتقنية التعديل الوراثي ثم تم صنع الحمض النوويDNA

مـن الحمـض الريبـي الخـاص بهاتـه الجينـات المُعدلـة للفـيروس وتـم وضـع هـذا الحمـض النـووي في بلاسـميد البكتيريـا الشـفافة (وهوعبـارة عـن حمـض نـووي عـلى شـكل حلقة)عـادة مـا يتـم حقـن الحمـض المُعَـدل وراثيـا في البلاسـميد لسـهولة حقنـه في البكتيريـا وأيضـا لأنـه يُنسـخ ويُترجـم إلى أحـماض آمينيـة ثـم بروتينـات ثـم إلى عضيـات وهكـذا يتـم خلـق مسـتقبلات عـلى سـطح البكتيريـا

يتـم إكثـار هاتـه البكتيريـا بعدمـا يتـم إثبـات أنهـا قامـت بإحتـواء البلاسـميد المُحتـوي عـلى جينـات الفـيروس المُعدلة؛يتـم اكثـار البيكتيريـا بالانقسـام المتسـاوي ثـم تجريـب هاتـه المعجـزة عـلى الفـئران البيضـاء الصغـيرة الجميلـة التـي ضحـى أجدادهـا وآباؤهـا في سـبيل العلـم وفي سـبيل صناعـة الأدويـة للبشريـة، هـا هـي اليـوم تُجـرب دواءً بيولوجيـا غريبـا؛ بعدمـا تـم إحـداث خلـل في نخاعهـا لتُصـاب بسرطـان الـدم.

بعـد أسـبوع مـن حقـن الفـئران ب»الفَيْرُوبَكتيريا»كـما أسـمتها «تيفاويـن»؛ وسر التسـمية هـو أن الـدواء كائـن بيولوجـي يحتـوي عـلى جـزء مـن الفـيروس والجـزء الآخـر بكتيريـا.

هـا هـي ذا الفـئران تتأرجـح في قفصهـا بصحـة جيـدة وصريرهـا يعلـو المخـبر وكأنهـا لا تعـاني مـن شيء.

أثبتـت التحاليـل أن الـدواء البيولوجـي يقـوم بتخريـب الخلايـا البيضـاء الغـير الناضجـة وذلـك بتثبيتهـا بالمسـتقبلات الخاصـة المتواجـدة عـلى سـطح البكتيريـا (والتـي تنمـو بفعـل عمـل جينـات الفـيروس المعدلـة وراثيـا والمحقونـة في البكتيريـا) ثـم هضمهـا بانزيـم هاضـم وقبـل انقضـاء حيـاة الفيروبكتيريـا تنقسـم مخلفـة بنتـاً وراءهـا تُكمـل عمـل أمها؛وهكـذا هـو الحـال بعـد حقـن الفـئران ب ٠,٥مـل مـن الـدواء فقـط.

تسـاءل «فهـد» عـن سـبب لجـوء «تيفاويـن» إلى هـذا الحـل ولم تنتظـر تجريـب زرع نخـاع ل»يـزن»، فأجابتـه أن «يـزن» يملـك خلـل في طاقمـه الـوراثي بوجـود طفـرات جينيـة هـي مـن تجعـل الخلايـا الجذعيـة لنخـاع «يـزن» في اضطـراب دائـم تُنتـج أورام مـن الخلايـا البيضـاء الغـير ناضجـة مـما تجعـل الـزرع أو أي عـلاج كيميـائي لا يُفيـد البتـة.

أُعجـب «فهـد» بـذكاء واصرار «تيفاويـن» بـل قـد اشـتعلت غيرتـه وحقـده لا سـيما أنهـا رفضـت خطبتـه لهـا العـام الماضي،في هـذه الأثنـاء اتصلـت جـدة «تيفاويـن» وأخبرتهـا أن «يـزن» في حالـة صعبـة جـدا وأنـه في غيبوبـة ...

قـد يُواعـد الحـب سرا نجـوم السـماء ليحـكي لهـا تفاصيـل قلبـين فرقتهـما ظـروف الحيـاة، وأنَّ سَـعْيَ قلـب واحـد لا يكفـي ليَتِّـم اللقـاء، مـادام حبـل الوصـال مـن القلـب الآخـر قـد توقـف عـن العطـاء....

حملت «تيفاوين» جرعتين من الدواء وأحكمت تخزينهما في عبوات مخصصة ووضعتهما في أقلام أحمر الشفاه ، ثم اتجهت مباشرة إلى المطار، تم توقيف «تيفاوين» وكأن أحدهم قد أوشى بها، وتم تفتيش حقيبة اليد خاصتها، ليستخرجوا أحمر الشفاه ويفضحوا أمرها، صُدمت «تيفاوين» لهذا الأمر فالتفتت يمينا لترى «فهد» يبتسم بخبث ويودعها راكبا الطائرة .

تم توجيهها إلى مقر الشرطة وبدأت التحقيقات، وهي شامخة في مكانها دون أي ذُعر تُجيبهم وتخبرهم كل الحقيقة؛ أنها تستعمل هذا النوع من المياه لنزع الميكياج لا غير، بعد ساعتين من التحقيق تم الإفراج عنها لأنهم تأكدوا من التحاليل أنها بالفعل مجرد مياه لا غير.

فتح «فهد» حاسوبه ليقوم بنشر مقال علمي حول البحث والدواء البيولوجي الذي اكتشفته «تيفاوين»، فقام بإعداد ما تبقى من لمسات وأرسله إلى الموقع المخصص للنشر، في انتظار ردِّهم له؛طامعا في الشهرة والمال وانتقاما من «تيفاوين».

وصلت «تيفاوين» إلى منزل جدتها، وجدت «رؤية» وزوجها بانتظارها فور ولوجها البيت، أسقطت حقيبة السفر من يدها وقالت أرجوك يا «رؤية» لا تقولي أنك لم تستطيعي حقنه، لا تقولي أنه مات وانهارت «تيفاوين» باكية ، سقطت أرضا وأغمِيَ عليها، فور استيقاظها همَّت بالنهوض من فراشها فأوقفتها «رؤية» وقالت لا تقلقي تم حقنه كما اتفقنا والآن تمر ٢٤ساعة على ذلك، لا يزال في غيبوبته ولكنه على قيد الحياة.

ضحكت «تيفاوين» ملئ شدقيها وقالت تحققت المعجزة يا «رؤية» تحققت المعجزة يا جدتي، ذُهل من في الغرفة لحالتها وظنوا أنها جُنَّت، فور هدوئها أخذت تسرد لهم قصتها كيف صنعت ال»فيروبكتيريا» وكيف استغلت مساعدة «فهد» لها وهي تعلم بخُبثه، ثم كيف قامت بتخزين الدواء في عبوات صغيرة ووضعتها داخل علبة المكياج،بحيث لا يستطيع أي أحد أن يَكْشِف صنيعها لأنها درست الأمر جيدا، قامت بإرسال علبة المكياج كطرد ودفعت مقابل أن يصل في أقرب وقت ولأن الطرد كان يحوي ميكياج فإن توصيله أسهل من باقي المشتريات الأخرى.

وصل الطرد إلى بيت «رؤية» فأسرعت إليه وتساءت حينها ما إن كانت درجة حرارة الطائرة ووسائل النقل لم تؤثر على الدواء فأخبرها زوجها الذي كان مختصا في المعادن، أن عبوات الدواء تعمل عمل الثلاجة تحافظ على العينة أو ما تحتويه كما هو، دون أن يلحق به ضرر.

قامت «رؤية» وزوجها بإخراج العينة وحقنوها في وريد «يزن» دون علم أحد، وهذا بعدما تحصلت «تيفاوين» على نتائج حقن الفئران وتأكدت من صحة نظريتها، فراسلت صديقتها يومها وأخبرتها أن تحقن «يزن»،كانت رؤية وزوجها خائفين من حقن «يزن» بدواء مجهول ، وولكنهما نفذا ما طلبته «تيفاوين» .

مرَّ شهر على هذه الحادثة، تفَقَّد «فهد» أمر المقال العلمي فصُعِق بتوبيخ الموقع له، حيث أن المقال الذي قدمه قد تم نشره قبله بأيام من مركز الأبحاث البيوتكنولوجي ب»ليهو» -هاواي-.

تمددت «تيفاوين على الأريكة مُسندة رأسها في حجر جدتها التي تداعب شعرها بيديها

الحانيتين، هنا لاحت بعض الذكريات الخفية فتذكرت يوم أخذت نتائج تحاليل الفئران المحقونة بالدواء، سارعت الى غرفتها وأكملت تقريرها العلمي وقامت بنشره لأنها كانت تعلم أن الحاقدين دوما موجودون حول الناجحين ،وأن الناجحين دوما تلفُّهم خطوات سقوط مباغتة. فأرسلت الدواء قبل أن تسافر، وقبل أن تتحصل على نتائج حقن الفئران، لتستغل الأيام الباقية في توصيل العينات بسلام إلى أرض البلد، عندما تأكدت من صحة فرضيتها،اتصلت بصديقتها وأمرتها بفعل ما اتفقوا عليه .

غيَّرت الدواء بعينات من المياه المزيلة للمكياج،دون أن يلاحظها «فهد» الذي ظن أنها وضعت الدواء في العبوات ووضعتها في أقلام أحمر الشفاه.

تمر الأيام ويفعلها الدعاء ويغير الأقدار،تمرُّ الأيام ويتصافح الأسى والأمل، يتعانق الحقد والحب، يتصافى القلب والجسد فيستيقظ «يزن» ويجد «تيفاوين» بجانبه يفتح عينيه كأنه وُلد حديثا، كأن لا ألم في عضلاته لا ضرر في أعضائه، كأن لا سرطان زار أرضه الطاهرة، فينهض بنشاط متعجبا من حالته فيسأل هل نحن في الجنة؟ تضحك «تيفاوين» وتُخبره نعم في جنة الدعاء والعمل، في جَنَّة معجزة حدثت على أرض الواقع، أنت وليد فعلة الحب يا عزيزي، فرط جنوني بك جعلني أقلب موازين العالم وأجد لك من بين الأمراض دواءً يشفي علتك بقدرة القدير؛ الله سبحانه القادر على كل شيء، لم يفهم «يزن» ما تتفوه به خطيبته فيدخل الطبيب إلى الغرفة مبتسما قائلا معجزة حدثت معك يا «يزن» الدواء الذي صنعته لك خطيبتك يجعلك تتعايش مع خلل نخاعِك كأنه لا يوجد، أنت الآن تُصنف كأول مريض يُشفى من اللوكيميا بفضل «الفَيْرُوبَكتيريا» والآن تستطيع العودة الى المنزل.

لم يستطع «يزن» فهم شيء سوى أنه يحمد الله على شفائه وعلى ارتداء خطيبته الحجاب من تلقاء نفسها، التفتت «تيفاوين» نحو «يزن» وقالت له :»أدركتُ أن الله وحده بيده أرواحنا وأرواح من نُحب ولا سبيل الى إكتشاف ما يُنقذ الإنسانية سوى العلم»وأردفت قائلة:»زرعتُ فيك صغار حبي بتَثْتها في دمائك من شريان عشقي،صنعتها بيدي لتُعيدك إلى حضني،شحَنتها حنينا متزايدا لتُخبرك عن مدى رغبتي أن تبقى جانبي دوما عَلَّمتُها أن تحميك و تزيد نبضي فيك، وأن تقصَّ عليك كل ليلة قصة «فَيْرُوبَكتيريا الحب».

فلة ذيب الجزائر

الذوق الخاص

- ما اسمك
- امينة
- اسمك الكامل...
- امينة صدام
- كم عمرك؟
- ٣٠ سنة
- ما مهنتك؟

شيف... انا أشهر طباخة بالبلد

***

اظنني خيبت امل والداي فقد كان ابي طبيبا جراحا وامي كانت تمتهن نفس حرفة ابي وكأي ابوين ابتغيا ان اسير في طريقهما، لكنني تشبثت بشغفي «الطبخ» اجل منذ سن مبكرة اكتشفت انني مهووسة بالتذوق بالشعور بالأطعمة فعلت المستحيل لأتمسك بحلمي، درست سنتين الطب في الجامعة كإرضاء لابي لكن تمكنت بعدها من اقناعهم بالسفر والالتحاق بمعاهد ومؤسسات عالمية بهدف اكتساب الخبرات في فنون الطبخ، تخرجت من مطعم «لوكخدون بلو « في باريس سنة ٢٠١٢

و بما ان الطبخ الجزائري و الاطباق الجزائرية تحمل الكثير من النكهات المختلفة قررت ان اعود لبلدي و ان ابدع في هذا المجل قررت ان افتتح مطعما خاصا بي عدت و تلقيت رفضا قاطعا من والداي الذي ظننت في فترة غيابي انهما تأقلما مع الفكرة فحسب رايهما ان هذا المجال لا مستقبل له في الجزائر لكن لم استسلم و اقنعتهما و كان والدي الممول و المساعد لي لافتتاح مطعمي «النكهة الخاصة» اجل لقد تدربت على ايدي اشهر الطباخين في العمل و عملت لمدة سنتين في مطاعم مشهورة و برفقة طباخين ذوي خبرة فزاد رصيدي المعرفي بهذا المجال و لان النجاح يبدا بخطوة قررت ان يكون نجاحي في بلدي أولا ثم اصل للعالمية بإذن الله كنت امام تحدي و كان علي اثبات نفسي كنت استيقظ باكرا و اسابق الجميع في الذهاب للسوق اختار اجود المواد الخضر و الفواكه الطازجة أشهد على اللحوم التي اقتنيها بيدي اطبخ كل الاطباق بنفسي اطباق جزائرية تقليدية اضع فيها لمستي الخاصة لتقديم اشهى الطعام صحي و بطريقة مميزة و كنت ضد الطعام المجمد و الذي يحوي مواد حافظة لذا كان هدفي الجمع بين الاكل الطازج و الصحي واللذيذ و قد مزج مطبخي بين الاطباق التقليدية (الكسكس باللحم – الرشتة – الشخشوخة) والعصرية ايضا , فكنت اطبخ واقوم بدعوة أصدقائي والاقرباء لتذوق اكلي اردت ان اثبت حالي أولا

مـن ثـم انطلـق في مطعمـي وافتتحـه للنـاس اجمـع.

لكـن لا اسرد لكـم هـذه القصـة لأعـد لكـم عـن نجاحـاتي، لربمـا سـتقرأون عنهـا يومـا مـا في أحـد المجـلات أو في موقـع الكـتروني وعـسى ان تفيدكـم.

لكن سأخبركم بسرين صغيرين عني

الـسر الأول: أن الدافـع وراء نجاحـي هـذا ليـس فقـط الإرادة وحـب المهنـة فقـط، لكـن بعـد افتتـاح المطعـم بسـنتين التقيـت «اسـحاق « وكان لـه الفضـل في أن يحيـي شـيئا بداخـلي ويجعلنـي ابـدع في عملي صحيـح ان مطعمـي كان معروفـا لكـن بعـد ان التقيـت إسـحاق زاد شـغفي بالطبـخ وزادت شـهرتي وذاع صيـت مطعمـي أجـل بعـد خروجـي مـن علاقـة حـب فاشـلة ومـروري بمرحلـة اكتئـاب لم أكـن أظـن يومـا أننـي سـأجتمع بحـب حيـاتي ، التقيتـه صدفـة في المكتبـة، كنـت سـأبتاع كتـب طهـو بينـما كان سيشـتري روايـة بوليسـية ، قمـت بدعوتـه لمطعمـي واعجـب بطبخـي و كـثرت زيارتـه إلى أو وقـع كلتانـا في حـب الآخـر .

اما السر الثاني: يجب أن اقتل «اسحاق»

اعلـم ان أكـثر مـا جذبكـم هـو الـسر الثـاني والعديـد مـن الأسـئلة تراودكـم الان وان أجبـت عليهـا فسأكشـف الكثـير مـن الأسرار، مـا يمكننـي أن اخبركـم بـه هـو أننـي تعرضـت لخيانـة أخـرى إذ وبعـد عامـين مـن العلاقـة وبعـد أن قررنـا الـزواج اكتشـفت أن اسـحاق رجـل متـزوج والأمـر سـبب لي صدمـة

- أهذا أمر كاف لتفكرين في قتله؟

هذا ما تفكرون به

- نعم إنه أمر كاف فأكثر شيء لم اعد اتحمله هو الكذب والخيانة

- هل انت مجنونة؟ تساءلتم ايضا

- لا ولكنني سأنتقم لنفسي

لم يكـن الأمـر بتلـك الصعوبـة، يكفـي أن اسـتدعيته لمطعمـي في يـوم العطلـة وقمـت بطهـو « شـطيطحة لحـم « طبـق جزائـري معـروف ومـن اسـمه تبـين لكـم أن المكـون الأسـاسي فيـه هـو اللحـم ب وبعدمـا وضعـت لمسـاتي الأخـيرة فيـه لمحـت سـيارته تتوقـف امـام المطعـم فقمـت بوضـع القليـل مـن المخـدر في صحنـه، كميـة قليلـة كفيلـة بجعلـي اتغلـب عليـه جسـديا بسـهولة قمـت بأخـذه الى القبـو كان يمـشي بتثاقـل لكـن سـاعدني ذلـك وضعتـه في كـرسي وقمـت بربطـه وشرعـت باسـتخراج ادوات تقطيـع اللحـم الخاصـة (السـكاكين، السـاطور..) اقتربـت منـه رفعـت السـكين.. وكان ذلـك آخـر شيء اتذكـره.

- بعد ١٢ ساعة –

- انت موقوفة

- اسحاق ماذا تفعل هنا ولم أنا مقيدة؟

- ادعى المحقق اسحاق وانت موقوفة بتهمة قتل ثمان رجال وامرأة

- أنا لا افهم شيء

- منذ مدة وجدنا رأس مقطوع لرجل وعلى بعد أمتار رأس ايضا لامرأة ولم نجد أثرا لجسديهما تبين بعد مدة أنهما زوجان تكررت الأحداث ثلاث مرات نجد راس الجثة ولا نجد باقي جسمها والقاسم المشترك بينهما أنهما متزوجين إضافة الى ان الراس مقطوع بطريقة احترافية و تتالت الجرائم وصعب علينا الأمر فلم نجد أي دليل تركه القاتل ورغم هذا كان هناك اختلاف بسيط فمن حوالي ٥ قتلى رجل واحد فقط من وجد مقتولا مع زوجته أما البقية فيقتلون بمفردهم رغم أنهم متزوجون فبحثت في ماضي الرجل والمرأة ووجدت انك كنت على علاقة سابقة بزوجها ، ولأقترب منك ما كان علي سوى أن ألعب دور المعجب بك ، اقتربت منك كثيرا قمت بالتحدث معك مرة حول موضوع السفاح كنت هادئة جدا و لم تثيري الشك حتى لكن كنت تستخفين برجال الشرطة وقلت على السفاح بأنه داهية ، ضحية بعد الأخرى ثمان ضحايا لا تربطها اشياء سوى أنهم متزوجون ,

بعد دراستي لماضي الضحية الأولى والتي كنت على علاقة به أدركت انكما انفصلتما بعدما اكتشفت أنه خانك وأنه متزوج وأخفى الأمر عنك اهو سبب كاف لقتله؟ ربما لا لكن بالنسبة لك؟ ربما نعم

لم تكوني وحدك تحت المراقبة ولم تكوني الوحيدة في دائرة الشك بل هناك من الضحايا من اكتلكن عشيقات وهناك من يمتلكن أعداء، لهذا لم اهتم أن فشلت بقدر ما اهتممت بالمحاولة اخبرتك أنني شخص متزوج!!!

صدمت صحيح، تغيرت ملامح وجهك فاضت عيونك بالدموع طلبت مني الرحيل بهدوء لكن لم تثوري كباقي النساء، بعد أسبوع طلبت مني ان ازورك في المطعم لنتحدث بالموضوع

استبدلت الطبقين حين ذهبتِ لإحضار الملح أغمي عليك وتدخلت الشرطة حينها بعد فقدانك لوعيك قمنا بتفتيش القبو ووجدنا في الثلاجة بقايا لحوم بشرية، فألقينا القبض عليك

-التحقيق-

- امينة

- اسمك الكامل...

- امينة صدام

- كم عمرك؟

- ٣٠ سنة

- ما مهنتك؟

- شيف... انا أشهر طباخة بالبلد

كيف قتلت اول ضحية لك؟

حين عدت لبلدي كان اول شيء أقوم به تتبع اخبار عشيقي السابق من بعيد، جعلت الامر يبدو وكأنه صدفة، التقيت به كان لايزال نذل مثلما عرفته بعد كل شيء فعله بي طلب مني ان يعزمني على فنجال قهوة وهذا ما اردته منه، أخبرني انني صرت جميلة جدا بعد أربع سنوات من غيابي كانت نقطة إضافية بالنسبة لي وقبل ان يغادر طلب رقم هاتفي واراد ان نلتقي مجددا بكل عين وقحة أراد مني ان اصير عشيقته مرة أخرى وهكذا يكون علق بالطعم، قمت بدعوته الى المطعم الذي لم يفتتح بعد وأردت ان يكون اول من يتذوق طعامي هذا ما اخبرته به

منذ الصباح الباكر وانا في المطبخ احضر له اشهى ما لذ وطاب (كرات اللحم المتبلة والمقلية – ضولمة محشي باللحم المفروم – طاجين اللحم – برجر – سلطة سيزر – عصير البرتقال المنعش – تيراميسو)

حضر للمطعم في الوقت المحدد تناول من كل اطباقي وأعجب بها بل قال انه لم يتذوق في حياته مثلها، نسيت ان اخبركم ان اهم مكون استعملته في كل اطباقي هو الكلوروفورم او المنوم، ومن ثما بدأت بالعمل الحقيقي، قمت بأخذه الى القبو الذي توضع به اللحوم والخضروات قمت بربطه وقمت بتجهيز الأدوات اللازمة وانتظرت استيقاظه فلا يمكن ان اقتله وهو حي.

- لكن لماذا قتلته؟

- لقد أحببت وليد بجنون، ودفعني هذا الجنون لتجاوز الخطوط الحمراء في حبي فصرت حاملا، أصبح يتهرب مني وكلما حاولت التحدث معه بموضوع الزواج يختلق ألف عذر، الا أن ذاق ذرعا بي وأخبرني الحقيقة أنه رجل متزوج، لم أكن سوى لعبة يلهو بها ولم يفكر يوما في الاقتران. ظننت أنه أخبرني بذلك لكثرة الحاحي ، تحريت الموضوع و وقعت علي للحقيقة كالصاعقة ، قررت أن أواجه زوجته ذهبت لمقابلتها استقبلتني جلست استمعت لي حتى النهاية و لم أشعر بها حتى قامت تضربني بجنون حتى اسقطتني فاقدة الوعي ، بعدها قام زوجها بأخذي و رمي أمام المشفى كنت قد استرجعت بعضا من وعي فهمس في اذني ، « هذا مجرد تحذير ان أبلغت عني أو عن زوجتي سنقتلك وعد مني « كان آخر ما سمعته بعد أن أفقد وعيي مرة أخرى ، كان أكبر خطأ يقوم به هو انقاذي من الموت بعد أن أذقاني العذاب ، فقدت جنيني و فقدت معه حياتي دخلت حالة اكتئاب فقررت ان اغادر البلد لتحقيق حلمي في الطبخ تجاوزت مرحلة الالم هناك لكنني لم اتجرع الخيانة فعدت من اجل الانتقام ، عندما عدت وبعد اشهر من تتبع اخباره وزوجته قمت بطلب خدمة أقوى قاتل مستأجر ، بينما قمت بدعوة عشيقي اتجه لعمله في الصباح الباكر فقام القاتل بإحضار زوجته هنا قمت بقتلها بعد تعذيبها ورددت الصاع صاعين , حين استفاقت ووجدتني امامها

- من انت؟

- وهل بإمكانك نسياني بهذه السهولة؟

- امينة!!! لكن ماذا تفعلين ولماذا جئت بي الى هنا إني احذرك لو....

- اصمتي كفاك هراء ماذا ستفعلين مثلا؟ انتهى وقت التهديدات عزيزتي كانت لك فرصة واحدة كي تنهين حياتي لكنك لم تغتنمينها، واليوم جاء دوري للانتقام، هل اخبرك بما سأفعله؟

- م..ماذا ستفعلين ؟

- لا اعلم ربما سأدعو زوجك ليحضر المسرحية التي ستكونين بطلتها او ربما انت من ستشهدين المسرحية فربما سيكون فريستي الأولى

- ارجوك افعلي أي شيء بي لكن لا تفعلي بوليد اتوسل اليك...

- لكنكما اشتركتما معا في اذيتي

- ارجوك اتوسل اليك .....

ولأنها لم تصمت وظلت تصرخ فما كان مني الا قتلها طعنتين في القلب كانتا كافيتين, ولأنني درست الطب سنتين فلي خبرة قليلة في أمور التشريح قمت بفصل راسها عن جسدها واحتفظت به لألقيه فيما بعد , اما جسدها فقمت بتمزيقه لقطع صغيرة و هنا خطرت لي فكرة رائعة وهي ان اطهو لحمها فنفذت فكرتي وطهوت لعشيقي السابق اكلات عديدة أهم مكون فيه هو اللحم وليته كان يعلم انه يتذوق لحم زوجته اعجب جدا بالمذاق واخبرني انه شهي جدا , بنفس الطريقة قمت بتخديره وعندما افاق اخبرته بانني قتلت زوجته لم يصدقني فكنت مضطرة لان اريه رأسها جن جنونه جحظت عيناه لعنني كثيرا وصار يتوسل لي هو الاخر كان يبكي كالطفل الصغير, زادت وقعته حين اخبرته انه قبل قليل كان يأكل من لحمها استفرغ كل الطعام وثار وتوعد بقتلي , فباشرت مهمتي قمت بتقطيع اطرافه وارجله وهو يصرخ متألما ثم فقأت عينه بعد ذلك قمت بقطع لسانه , شوهته بقدر ما استطعت قمت بتمزيق أجزاء عديدة من جسده كان صراخه يثير نشوة غريبة في جسدي ثم قمت بقتله هو الاخر واحتفظت بجسده , طلبت من القاتل المستأجر ان يلقي بالرأسين معا في غابة كي تلتهمهما الذئاب بالمناسبة القاتل المستأجر هو من احضر لي المنوم ولا تسالاني عنه فحتى لو قتلتماني فلا اعرف عنه شيء فقد استأجرته من الديب ويب وبطرقي الخاصة ما يعني ان الالقاء عليه امر مستحيل .

اردت الاحتفال بعدها بانتقامي فقمت بطهو عشيقي وبقايا زوجته وكان اول يوم يفتتح المطعم فكان الطعام مجانا , قام بعد الجيران بزيارة المحل وتذوقو الأطعمة وفد اعجبوا بها حقا فادركت ان اللحوم البشرية الذ بكثير , فافتتحت مطعم «الذوق الخاص» وصرت اتحرى عن أي رجل يخون زوجته واقوم بالتعرف عليه ثم استدراجه وقتله بتلك الطريقة استفيد من لحومه لمطعمي إضافة الى انني اخلص العالم من حقارته ولمزيد من الحماس اردت ان الهو قليلا مع رجال الشرطة كم كنتم اغبياء حين اطلقتم اسم سفاح العاصمة وهناك من ادعى انه رآني وكل المواصفات كانت لرجال الا يمكن للنساء ان يقوموا بجريمة يا هذا ؟ لكن ولأنني امرأة سمحت لقلبي الغبي

وسمحت لمشاعري البائسة بان تحيا من جديد بعد ان روضتها على الحقد فظهر المحقق اسحاق في حياتي احببته حقا وغباء مني سمحت له بكشف سري.

هناك شيء اخر كنت أقوم بشراء لحوم بشرية من الديب ويب، فقد زادت شهرة مطعمي وزاد الطلب على المأكولات اللحمية، وضحاياي لن يسدوا طلب كل الزبائن، سأفضيكم باخر سر ولكم حرية التصديق وبعدها لن أتكلم حتى يوم المحكمة ولو قطعتم رأسي، ان ظننتم ان مطعمي هو الوحيد الذي يبيع لحوم بشرية فأنتم اغبياء حقا، ما تجهلونه ان العديد من المطاعم وحتى المشهورة منها تقوم بطهي لحوم بشرية. ولا شك انكم زرتم احداها وتذوقتم لحوم بشرية واعجبتم بها، لماذا أرى نظرة التقزز تعلوا وجوهكم ستزيد صدمتكم حين تدركون انه من سابع المستحيلات ان تصلو يوما لهذه المطاعم ولا ان تكشفوا طريقة تعاملها ومصادر حصولها على اللحوم البشرية فالأمر أكبر بكثير مما تتصورون.

- يوم المحكمة -

النطق بالحكم

القاضي: حكمت المحكمة على المتهمة أمينة صدام بتحويلها الى مستشفى المجانين مدى الحياة بعد الجريمة الشنعاء التي قامت بها. ونظرا للاضطرابات العقلية التي تعاني منها

- عفوا سيدي القاضي دعني أتحدث من فضلك، أنا ضد حكمك هذا فأنا لست مجنونة بل أنا بكامل قواي العقلية أريد من سيادتكم تغيير الحكم، استمع لي للنهاية ثم قرر

- تفضلي

- والآن أطالبكم بإعدامي، فامرأة قوية مثلي وما قامت به من عظمة لا يمكن في النهاية ليترجم على أنه فعل جنوني، ذلك ذنب كبير في حقي، فأنا واعية بما قمت به وأريد الحصول على جزائي وأن أصير حديث كل لسان، وقدوة كل مكسورة، وكابوس كل خائن، فلتعدموني فأنا بكامل قواي العقلية يمكنكم التحقق بأجهزتكم أن عقلي سليم، هيا افعلوا ذلك واعدموني وتبا لكم

-تمت-

زاهية سوسي الجزائر

قصر الغول

على شاكلة الفندق المُصنع بحبات الملح..

لا يَبعد عن واحة سيوة كثيرا اسأل من في الطريق سيدلك عوضاً عن الواحد ألف قل لهم قصر الغول تلك شهرته.

انطلق الصحفي عقب حديثه مع شيخنا البدوي ليكمل رحلته إلى سبقه الصحفي "قصة الغول" ،وذاك المكان الغريب ..

ربما هو غريب أن يكون هناك فندق جدرانه وكل ما به من الملح ، وربما أجد ذلك مبررا لجذب الزوار ولكن هذا المكان لونه مختلف ، طابعه مختلف ، لكل حجرة طابع ومن يقع بشباك ذاك المكان يعود مختلف الطبائع كأن روحه تتغير أو كأنه بُعث من جديد ،تلك الخواطر التي كانت تبادره ما هي إلا نَبذة عما سمعه حول المكان،"قصر الغول"، لم هذا الاسم؟

ولم لا يُقابل أحد صاحب المكان ؟

كل تلك الأسئلة إجابتها هناك حيث مقصدي ذاك هو سبقي الصحفي...

**

-هناك شخص ما سأسأله ،

-يا إلهي كيف لصغيرة مثلكِ أن تتجول في مثل هذا الليل ؟!

"ماذا تريد أيها الغريب"

-حسنا لا تغضبي هل لكِ أن تدليني عن مكان قصر الغول ؟

"لا ،يمكنك أن تأتي في الصباح "

-يا فتاه أنا بطريق سفر لن أحتمل مشقة العودة دُليني وسأحمل عنك تلك الرمال لتعبثي بها مع اصدقائك

"كف يدك يا هذا واغرب ،قلت عد صباحاً لا قصر الآن"

***

انزعجت من تلك الفتاة الفظة كثيراً ولكن لا مفر فأنا في تلك الصحراء لا أفقه شئ وهي دليلي الوحيد الآن ...

التفتت إليها كي أكمل حديثي وأسألها متى آتي وبأي إتجاه أذهب ولكن لم أجدها ..،ابتلعها الظلام حتى أنه لا يوجد أثر لأقدام شخص غيري ظننت وكأني كنت أتوهم وجودها ،وحديثي ذاك

كيـف لهـا أن تختفـي بتلـك السرعـة؟

بتلك الصحراء أكثر من سبق صحفي يا رجل !...

أوصدت نافذة سيارتي وتهيأت للنوم،

ظـلام الوحشـة هنـا كقـبر ولكنـك تُقـبر حـي بسـقف نجمـي، وأصـوات همسـات تخـترق قلبـك فتوجـس بـه الخيفـة،

اسـتيقظت قبـل اسـتيقاظ الشـمس تقريبـاً، هـدوء ومنظـر يخطـف الأبصـار لكنـي مـا زلـت أسـير خطـف الأسـماع ،

أكاد أُجزم أني بتلك الليلة وطأت الجحيم كنتُ نائماً ولكن صراخهم اخترق مسامعي،

كانـوا يعذبـون صراخ مختلـف الأجنـاس أطفـال وشـيوخ، نسـاء ورجـال لقـد سـمعتهم حـق السـمع وإلا لمـا كنـت قـد تعرفـت إلى مختلـف تلـك الأصـوات ولكـن كيـف؟!

وإن لم أكـن قـد هبطـت إلى الجحيـم فمـن أيـن تلـك الأصـوات وأنـا بقلـب الرمـال لا أحيـاء مـن حـولي اللهـم إلا بضـع حـشرات وكائنـات كالتـي أراهـا بنـشرة الأحياء،

أدرت عربتي لأتحرك مكملاً رحلتي، ما زال سبقي الصحفي وسط كل ذاك هذا ما جئت إليه...

وصلـت لنقطـة مـا ولم تعـد السـيارة تتحـرك، نزلـت لأتفقـد الوقـود فـإذا بـه لم ينفـذ بعـد خرجـت منـي ألفـاظ التأفـف جميعهـا في هـذا الوقـت فصـبري أوشـك عـلى النفـاذ،

ولكن هناك لافتة قرأتها وتعالت ضحكاتي...

بالتأكيد لم تدسوا أشياء تمسك بالسيارة كي لا تتقدم أكثر

ما تلك الحماقة ما الذي يعنيه "أنك في حرم الغول تقدم بقدميك"؟!

أيـاً كانـت تلـك اللافتـة نعمـة قبـل أن تكـون نقمـة بمـا تحملـه فهـي تعنـي أني بالطريـق الصحيـح وأن رحلـة غرائـب تلـك الصحـراء قاربـت عـلى الانتهـاء.

لا أعلم ما مر من الوقت لكني أظن الظلام يزحف إلي ليل تلك المنطقة سريع على الأغلب ..

...آااه قدماي

تعثرت بحفرة سوداء وكأنه قطران أو شحم ما

نظـرت حـولي لأتفقـد موقعـي فـإذا بهـا ليسـت حفـرة إنهـا فجـوات ظـلام رمـال مأكولـة ولعـاب آكلهـا ظـلام كالـذي يزحـف مـن بعيـد أنـه قـادم بوتـر سريـع ...نبضـاتي أيضـا بـات وترهـا سريـع .....

أين أنا بحق السماء،

يـا أهـل هـذا البيـت كيـف أتيتـم بي إلى هنـا مـاذا حـدث لي لقـد سـقطت ..ثـم الظـلام ..ثـم لا أذكـر

الباقـي ،

ليجيبني أحد، سحقا ما تلك الرائحة...

"اصمت قليلا أيها الثرثار أنت بالقصر"

-أعرف ذاك الصوت إنها أنتِ أيتها الفظة

"أنا وفظة حسنا يا عمودي القادم "

-ماذا أتعيبين بي ...

أياً كان كيف جئت إلى هنا ،أو أتعلمين تلك تفاصيل لا طائل من معرفتها الآن أين هو؟

أين صاحب القصر ؟ما قصته؟ ومن أنت ؟

ابنته أليس كذلك ؟

"انتهيت ؟"

-رُغم أنك فظة لكن لا مصدر لي غيرك الآن..

"مـا الـذي تريـد معرفتـه صاحـب القـصر لا يقابـل العامـة وأنـت متطفـل ثرثـار يكفـي ذلـك كي تغضبـه "

-لا يهـم أيـاً كان أريـد مـا لا يعرفـه أحـد ،لم جـدران القـصر هكـذا؟لم حجراتـه مختلفـة ؟وطابعهـا مختلـف ؟

سأفعل ما تريدينه أيتها الصغيرة فقط أخبريني ..

"ستفعل ستفعل ،

ولكن دعني أخبرك ما أَخبره الغول للجدران قبل أن تُقام ،

يَحمـل الغـول الأحيـاء مـن فـم الظـلام، يُغريهـم بقصصـه، يتجـول بهـم بـين فهـوات دمائـه الصدئـة، يسـقطهم في فـم اللهـب ثـم الفقـرة الأكـثر متعـه يخلـط غبارهـم بحبـات الملـح البيضـاء كالملائكـة ،هـو يقـوم بـدور الحيـاة الأبديـة ينقلهـم مـن الجحيـم إلى راحـة الملائكـة البيضـاء ويشـكلهم بجـدار والآخـر ليخلـد وجودهـم الأبـدي ..

وآخـرون ينبـش الرمـال التـي تغطيهـم ويخرجهـم مـن رحـم الأرض ليخلدهـم بـرداء الزفـاف الملحـي كجـدار آخـر حتـى يحيـط أولىٰ غـرف القـصر ...غرفـة أبويـه،

أولىٰ معاركـه ضـد الحيـاه المرِضـة للأحيـاء إنـه عبقـري، روح تسـمو للخلـود لم يَقبـل المـرض لأهلـه فخلدهـم، أَحـرق هـذا الغـلاف العجـوز ليخلـق منـه مزيـج مـن الغبـار ويَخلطـه بالرمـال والملـح مشـيداً أُولىٰ نجاحاتـه ومنـه إلى هـذا الحـرم العظيـم ..."

-قصة خيالية رائعة استمتعت ، هل نبدأ إذا في ما جئت إليه لقد وعدتني أن تخبريني..

"سأفعل وسآخذك أيضا برحلة ميدانية، لنذهب "

-ذَهبت معها وأنا مبهور بما أراه ولكن شئ ما كان يؤرقني،

نحن وسط اللاشئ فقط فوهات سوداء وعين من نار كأنها حفلة للشياطين،

....أنـا ملـك لهـا الآن كـم أنـا أحمـق إنهـا الغـول تلـك الفظـة الصغـيرة هـي مـن شـيدت كل هـذا ،وأنـا... مـاذا تفكـر أن تفعـل بي ....

-أخبريني أيتها الصغيرة إلى أين نذهب،

"إلى رخصة إقامتك "

لا داعي أن أُكمل عَلمت مصيري الآتي سأُخلد معها ،

قـارئي هـذا مـا ظننتـه سـبقي الصحفـي واتضـح أَنـه سـبقي الأبـدي ألقاكـم بأحـد أركان القـصر زواري الأعزاء...

اقبال شاهين

لا تـقرأ

الطريـق الزراعـي يقلـق راحـة السـيارة فيدفعهـا للترنـح، يـضرب رأسـه المتثاقـل بالزجـاج فيفتـح عينيـه مذعـورا متألمـاً.

- هل وصلنا ؟

سـؤال كـرره عـدة مـرات منـذ بدايـة الطـرق إلى بيـت جـده القديـم، تلـك المهمـة التـي تصـدى لهـا، وهـي بيـع ذلـك البيـت المنـسي عـبر سـنين مـن طفولـة مـا عـاد يحصيهـا، لم يسـتطع هـو وإخوتـه فهـم لمـاذا كان والدهـم يرفـض الحديـث عـن بيـت جدهـم العتيـق، لمـاذا كان يرفـض بيعـه أو تأجـيره، لكـن المـوت ابتلـع سره معـه، وهاهـو يصـل أمـام منـزل مـازال منتصباً بـين أشـجار متعاليـة.

يترجل من سيارة الأجرة التي كانت تقله :

- سأنتظرك مساء كما اتفقنا .

- إن شاء الله ..

وتمضي السيارة مستعجلة دون أن تلقي نظرة إلى هذا الشاب .

تأمـل الحديقـة مـن حولـه، خشـية الوحـدة تسـللت إلى روحه،ونظـر إلى الأشـجار أحـس كأنهـا تريـد الحديـث معـه، تنظـر إليـه لكنهـا تكتفـي باهتـزاز مـع الريـح وصمـت.

يضحـك مـن أفـكاره الصبيانيـة ويخـرج مفتـاح البـاب العتيـق ويديـر القفـل، كان للبـاب صـوت صريـر يشـبه الأسـنان المصطكـة أوقفـت شـعر جلـده.

يدخـل، ورغـم ثقافتـه واعتـزازه بمفاهيمـه العلمانيـة يمـد قدمـه اليمـين أولاً ليتسـلل إليـه شـعور بالتفـاؤل يبعـد إحسـاس الرهبـة التـي تنتابـه.

الغرفـة المتسـعة أمامـه تنظـر إليـه، رائحـة الخشـب العتيـق، المقاعـد المغطـاة بأقمشـة ضاعـت ألوانهـا، يتأملهـا وكأنمـا نظراتـه تجعلهـا تبعـد أنظارهـا، وتبـدأ مهمتـه بفتـح النوافـذ والأبـواب لتتسـلل أشـعة الشـمس إلى هـذا المنـزل المتوحـد قبـل وصـول المشـترين.

غـرف النـوم تتـوزع في الجهـة الجنوبيـة مـن المنـزل، يفتـح بـاب الغرفـة الكـبرى يتأمـل سريـر جـده ذو الأعمـدة النحاسـية والسـتائر المهترئـة، يصـدر السريـر أنينـاً... ينظـر إليـه بعيـون متسـعة ثـم يمـضي.

غرفـة الأولاد في آخـر الممـر، يجلـس عـلى أحـد الأسرة: - أتـراه والـدي قـضى طفولتـه عـلى هـذا السريـر.؟؟

يعـود فيسـمع صـوت ارتطـام في الغرفـة الكـبرى، يهـرع إليهـا ليجـد الريـح تعبـث بالنافـذة المفتوحـة قـد ألقـت بضـع كتـب عتيقـة، يبـدأ بصفهـا، يلفـت نظـره ظـرف قـد سـقط مـن فـم كتـاب كتـب عليـه

« لا تقـرأ» ، يضحـك مـن هـذا التحذيـر البسـيط، يصـف الكتـب في مكانهـا مسـتعجلاً ويغـادر الغرفـة وقـد دس الظـرف في جيبـه.

الوقـت يمـضي ببـطء هنـا وكأن الحيـاة قـد توقفـت مـع الزمـن، كل مـا كان ينـوي أن يقـوم بـه مـن تجهيـزات صغـيرة قـد تمـت، يجلـس عـلى كـرسي قـرب تلـك النافـذة، يتذكـر الظـرف فيخرجـه مـن جيبـه ويفتحـه..

في تلـك اللحظـة صـوت صراخ امـرأة يسـمعه آت مـن بعيـد، يقـف متأهباً، يركـض إلى الخـارج وينصت، السـكون والسـكون فقـط... يعـود إلى مجلسـه وخفقـات قلبـه المتسرعة تحـاول التباطؤ.

يخرج الورقة من الظرف ويبدأ القراءة: « أنت يا من تقرأ قصتي.. أقحمت روحك في جحيمي»

صريـر بـاب غرفـة جـده يسـمع مـن جديـد مـما يجعلـه يتوقـف عنـد ذلـك السـطر وبخطـوات متثاقلـة هـذه المـرة يتجـه إلى الغرفـة، البـاب مـازال مفتوحـاً لكـن سـتائر السريـر تناثـرت عـلى الأعمـدة، وخيـال تلـك المـرأة الجالسـة عـلى السريـر يـكاد أن يوقـف قلبـه...

كانت تسرح خصل شعرها وتدندن بأغنية وكلمات مبهمة:

- مـــ.مـــ...من أنت ؟!!

لا تلتفـت إليـه، لكنهـا توقفـت عـن الغنـاء وتنظـر إلى النافـذة، أصـوات صراخ شـديد تتعـالى، صـوت اسـتغاثة مـا، يسـارع إلى النافـذة لـيرى مـا يحـدث والفـراغ يمـلأ المـدى، يعـود للنظـر إليهـا ليجـد السريـر خاويـاً.

يتمتـم بـكل مـا حفظـه مـن آيـات وأدعيـة وهـو يغـادر الغرفـة، العطـش أيبـس حلقـه فيدخـل المطبخ يحـاول فتـح صنبـور الميـاه لكنـه خـاوٍ، فجـأة يسـمع صـوت ميـاه تتدفـق عـبر الأنابيـب فينتظـر، يمـد يـده تحـت الصنبـور محفـزاً إيـاه، تخـرج ميـاه حمـراء كأنهـا الدمـاء، يزيـح يـده مرعبـاً...

يخـرج إلى الحديقـة ويجلـس عنـد أول صخـرة متعاليـة وجدهـا يمكـن الجلـوس عليهـا، يتأمـل البيـت الصامـت، الأشـجار الحزينـة مـا عـاد يـدرك هـل هـو في كابـوس.

يتناهـى إلى ذاكرتـه رعـب والـده مـن ذكـر المنـزل، مـن الحديـث عـن عمـه المفقـود و أسـألتهم التـي كان يـرد عليهـا بالصمـت، أصـوات الـصراخ تتعـالى مـن جديـد وكأن الأشـجار تـردد صداهـا، يغلـق أذنيـه لكنـه مـازال يسـمعها.

يسـتجمع شـجاعته فـيرى رجـلاً يمسـك شـعر تلـك المـرأة، ويجرهـا بقـوة، تمـد يدهـا إليـه، تسـتنجد، لكـن شـيئاً مـا يـسر قدميـه في مكانهـا، كان الرجـل يشـبه جـده شـاباً، يصـل الرجـل إلى البـئر ويمسـك تلـك المـرأة، صراخهـا وتشـبثها بيـده كأنـه قـد آلمـه، فيلقيهـا أرضـاً، تحـاول الإفـلات لكنـه يعالجهـا بضربـة تفقدهـا قـدره المقاومـة يرفعهـا وهـو يحـاول إلقائهـا في البـئر، تنظـر تلـك المـرأة في عينيـه مسـتنجدة وبدمعـة تسـبقها إلى السـقوط ....

هنـا كأن الحيـاة عـادت إلى عروقـه مـن جديـد، يركـض باتجـاه البـئر و هـو يسـمع صـوت جـده : «

اذهبـي إلى الجحيـم..»

ينظر في عيني جده الذي لا يراه، يعود للنظر في البئر باحثاً عنها.

يد من خلف ظهره تدفعه إلى الأمام ليجد نفسه يفقد توازنه ويتهاوى في ذلك البئر العتيق.

المـاء النـتن يمـلأ حواسـه ليعـود فيرفـع رأسـه في محاولـة لإدراك مـا يحـدث، وأفـكار تتطايـر عـبر الفوهـة للوصـول إليهـا، يهـرع إلى جيبـه يخـرج هاتفـه المحمـول، وكأن المـاء قـد تسـلل إليـه فلـم يعمـل، يجيـل نظـره في أرجـاء المـكان، يراهـا تقـترب منـه لكـن ملامحهـا اللطيفـة قـد تغـيرت لتبـدو باهتـة قاسـية، يحـاول الابتعـاد، تتشـبث برقبتـه تقـرب فمهـا مـن أذنـه وتهمـس لـه:

«أخبرتـك أن لا تقـرأ لكـن فضولـك كـما فضـول عمـك وجـدك الـذي تدخـل فيـما لا يعنيـه فأوصلنـي إلى هنـا» يحـاول الإجابـة لكنـه قبـل أن يفتـح فمـه تجـره إلى أسـفل المـاء، يـداه تتخبطـان، ترتفعـان تنـزلان، لكـن الحيـاة تهـرب منـه غرقـاً.

أصـوات تتعـالى في الحديقـة، يقـف ملقيـا تلـك القصـة الغريبـة التـي كان يقرؤهـا مـن يـده، لقـد وصـل المشـترون أخـيراً يخـرج لملاقاتهـم، لكنهـم لم يـروه... صـوت الرجـل يقـول: - كأن أحـداً لم يـأت بعـد!!

تـرد عليـه المـرأة: - أخبرتـك مـا سـمعته مـن أهـل القريـة هـذا البيـت ملعـون، لـن أشـتريه ، امـض قبـل وصولهـم..

يقـف في وجـه الرجـل ليخاطبـه لكنـه يمـر مـن خلالـه يديـر سـيارته ويمـضي، ينظـر إلى البيـت والأشـجار الحزينـة لا يسـمع صوتـاً كأنـه المـوت، لكنـه يراهـا عنـد النافـذة تضحـك ..

فرح ابراهيم البوظه سوريا

ليلة الخرجة

اقترب مدحت من ميساء وقال لها: « ساعات قليلة تفصلنا عن اجتماعنا في غرفة واحدة، تحت سقف وحيد، و نكون سعداء كمن لم يكن أحد» .

هكذا همس العروس في أذن عروسته، و هما على عرش تتويج زواجهما في حفل بهيّ مليء بمعارف جاؤوا من كلّ فجّ عميق يصنعون البهجة للشابين الجميلين في يوم فرحهما.

بعد يوم حافل، هدأ أخيرا صخب العرس، وتوقّفت قروع الطّبول، و اختفت معالم العرس بتفرّق كلّ واحد في حال سبيله، ليجتمع العاشق و معشوقته في فندق خمس نجوم، على نيّة بدء حياتهما الجديدة الرومنسية في محلّ فخم يعكس فخامة ما بينهما.

تربّع العريس على فراش الزوجية يختلجه الحب والتّردّد والرّغبة، وهو ينظر لجمال زوجته المنعكس في المرآة وهي تنزع الإكسسوارات من شعرها الأسود الكاحل المنسلّ على فستانها الأبيض النّاصع.

استادرت له، و بوجه مبتسم تطبعه غمّازة عميقة قالت : ياحبيبي اعلم أنه على قدر ما أنت على وشك الموت من ساعة الآن، أنا على وشك الموت من تعب تجهيزات العرس وتقاليده التي أثقلت كاهلي، دعنا نؤجّل ذلك غدا، أرجوك يا حبّي لأجل خاطري.

ردّ مدحت: لا... لا تقوليها حبيبتي، و ربّي شوقي لك كبير.. لقد انتظرت ساعة الحلال هذه طويلا فلا تطيلها أكثر ممّا كانت طويلة، فأنا لا أستطيع صبرا يا زوجتي.

استطردت ميساء: تذكّر يا عمري أنّي لك، و أنّك قمت بالذي تصبو به قبل يومنا هذا، فصبر جميل، سأسعدك غدا و أبدا.

ردّ مدحت :حاضر يا حياتي، وهل أستطيع أن أعصي لك أمرا؟ يا سلطانة عرش قلبي، سأصبر يوما فأنت كنت و ستظلين لي العمر كلّه يا أميرة فؤادي.

قالت ميساء: الله يحفظك لي يا تاج رأسي ... يا عمري، هل تريد أن تشرب شايا أم عصيرا؟ لعل مكونات أحدهما تقوي إرهاق يومنا هذا.

غابت ميساء هُنيهة في المطبخ، وعادت تحمل المشروبات، شربت هي عصيرا، و شرب بعلها شايا وخلدا للنّوم، كان تعبُ مدحت أقوى من فكرة خيبة اللّحظة التي كان سيختلي فيه مع حلوته هو وهي فقط، حتى الشيطان لم يكن ليكون ثالثهما مادام الحلال يجمعهما.

دخل العريس في سبات عميق، عكس العروسة التي قامت من على سريريها مُتوجّهة إلى غرفة الجلوس آخذة حقيبة ليلة دخلتها، فتحتها واستخرجت منها قارورة تحتوي على سائل شفّاف، لم يكن عطرا فواحا تدوخ به رَجُلها ... بل كان سائلا أوكسجينيّا موصولا ببخّاج عن طريق

أنبـوب، أخـذت تستنشـقه طـوال الليـل بطريقـة تبـدو عليهـا فيهـا آمـارات الجنـون.

وحـين بـزغ النّـور معلنـا بدايـة النّهـار، راحـت ميسـاء تُحـوّل مـا كانـت تسـتعمله إلى رمـاد، ثـم صيّرتـه سرابـا برميـه في مجـاري الميـاه، لم تكتـف بهـذا – فحسـب - بـل أخـذت سـكّين المطبـخ و ذهبـت بـه إلى غرفـة النّـوم وهمّـت المجنونـة بغرسـه ... ولكـن في ذراعهـا، لتُسـيل قطـرات منـه عـلى السّـرير، عـادت للمطبـخ وغسـلت السّـكينة ومسـحت بذلـك آثـار جريمتهـا الصغـيرة.

بعـد ذلـك اسـتلقت أمـام زوجهـا تحـاول الولـوج إلى النّـوم، و مـا هـي إلاّ دقائـق حتّـى شـعرت بالغثيـان وبثقـل في رأسـها وبرغبـة في التقيـؤ، ألقـت بذراعهـا مثقلـة نحـو الهاتـف تطلـب النجّـدة مـن عـمّال الفنـدق بصـوت يـكاد يختفـي: أنقذونـا، نحـن نختنـق.

جـاء عـمّال الفنـدق سريعـا بسـيارة الإسـعاف، ليقتحـم الممرّضـون الغرفـة، حملـوا العروسـة عـلى سريـر النّجـدة واضعـين عـلى فمهـا مضخـة الحيـاة تُسـعفها، بينـما وضعـوا عـلى وجـه زوجهـا - بعـد أن تحسّسـوا جسـمه البـارد - رداءً رسـالته أنّـه فـارق الحيـاة ...

نظـرت ميسـاء طويـلا إلى زوجهـا المتـوفّى و دُموعهـا تسـيل غزيـرا لعلّهـا تطفـئ لهيـب قلبهـا، ظـنّ جميـع الحاضريـن – بـل جزمـوا- أنّهـا دمـوع عـروس فتيّـة تعيسـة الحـظّ، خطـف القـدر منهـا حبيبهـا ، لكـنّ الحقيقـة أخفتهـا في داخلهـا حـين راحـت تُخاطـب فقيدهـا في نفسـها:

هـل ظننـت أن اغتصابـك لي ذلـك اليـوم سـيمرّ مـرور الكـرام ؟ أنـا احتقـرك ... لقـد وافقـت عـلى زواجـي منـك لأمحـو العـار الـذي ألحقتـه بي .. فكـرت أن أتزوجّـك وأطلّقـك لكنّنـي – واللـه - لا أسـتحق لقـب مطلقـة منـك.. لهـذا فضلـت اسـم أرملـة مسـكينة مـات زوجهـا في ليلـة دخلتهـما... ياحبيبـي كنـت طـول الليـل تستنشـق الغـاز المُميـت الـذي فتحتـه حـين ذهبـت أحـضر لـك الشـاي، بينـما أنـا قضيـت الليـل أستشـق الأوكسـيجين، يـا عمـري لقـد منعـك المنـوّم - الّـذي وضعـت لـك في الشّـاي - مـن المقاومـة، بيـد أنّنـي وضعـت في عصـيري مضـادا حيويّـا يسـاعدني عليهـا، هاهـا لقـد خرجـت روحـك في ليلـة الدّخلـة.. وأُبـشرك يـا عشـقي أنّي أثبـت شرفي بقطـرات دم العذريّـة المصطنعـة، أشـكرك يـا زوجـي السـابق أنّي صرت مـن ورثتـك أيضـا، وأشـكر اللّـه أنّـك كنـت مـن الأغنيـاء.

دوّت صافـرات الإسـعاف وهـي تأخـذ العـروس إلى غرفـة الاسـتعجالات، بينـما توجّهـت بزوجهـا إلى مصلحـة حفـظ الجثـث، وفي تلـك الأثنـاء كانـت الشّـرطة العلميـة في مطبـخ الفنـدق تجـد قطعـة فحـم فـوق المائـدة، قطعـة صغـيرة فتحـت بابـا كبـيرا لكثـير مـن التّسـاؤلات ...

صباح دهليس الجزائر

هلوسات هاورد

في اليوم السادسة عشر من نيسان،اتّخذ «هاورد»مقعده عند مقدمة المقهى كي يرى بوضوح كل أشكال العشق و الرومانسية التي حرم منها.فهذا شاب في ثياب مرقّعة مقرّعة على المقاس لا محال لزيادة باوند واحد أو أن يرتديه شخص آخر،و اليوم يومه امّا أن تقبل حبّه وتنتهي قصته بسعادة على الأقل حتى آخر النهارأو ان تعرض عنه فيوجس خوفة من المهانة و المذلة التي أوقع نفسه فيها مع فتاة لا تعني له شيئا إلا زينة له امام أترابه وتكبّراً على من هم مثل هاورد وحيدون في الممشى و المأكل فهل من مغيث؟؟ أقصد مغيثة...ظلّ هاورد مكانه بل وأصبح جزءا من المشهد :

هاورد :أعطيه فرصة ،فلطيب نفس امرأة خير من كل جمالٍ وملبس،وراح يحشر أنفه في مشاهد لا تعنيه،ما أطفح كيل العشاق وأضمر وردة الحبّ الهوليوودي.ردّت عليه احدى الشابات تفترسه بنظرة فضول يملئها التكبّر والعلي كأنها تقول في نفسها ومن هذا المتحذلق الاشعث،قالت :ومن تكون سيدي.

ردّ بحزم وهو يعتدل في جلوسه فاستقامت ظهره و اشتبكت يداه بركبتيه متمايلا بكرسيه،قال :أنا هاورد آنستي شأني هو الإصلاح بين الأحبة ولا أبغى فوق ذلك شيء...وانتهى بخفة لسان متهربا من بلوى صاحب المقهى الذي لا يغض البصر عن أيّ حوار يجري في مقهاه إلا وجعل منه شهرة للأمسية .

بعد ذلك همّ هاورد في التفكير العبث،الذي لا جدوى منه إلا الشرود لربع أو نصف ساعة من الزمن،

وقبل مغادرته وصحوته من شروده انتبه لنفسه في المرآة التي لم تعكس اي صورة في خلقه إلا بياض عنقه واسوداد معطفه من الكمين حتى الرقبة.

لذا أتى في اليوم التالي متأنقا الى المقهى،وما ان تعرف عليه رواد المقهى حتى انهالت عليه السخرية

من كل زاوية يتساءلون عن مكان العروس ساخرين منه،لكن هاورد لم يعهم بصره فقد كان مركزا على المرآة التي لم تتعرف عليه وتعكس صورته البهيّة.أخذ هاورد كرسيه المفضل المعلّم بكسر في ساقه

وانتظر حتى تقدم إليه صاحب المقهى بخطى وئيدة موزونة فكان جنبه يسأله بكل رسمية عن طلبه وهو البارحة كاد ان يطرده لم يستوعب الأمر؟؟؟

استجمع هاورد فكره محاولا فهم الصورة من حوله،قوارير المشروبات ترمى رميا على طاولات المقهى و الأيادي في الهواء تلعب باحثة عن مسقط،وشجارات الديمينو في أوجها في صورة بطيئة يقبع فيها نادل مستقيم الوقفة باسما ابتسامةً رسمية رحبة في ظاهرها ممسكا بمنديل أبيض

معلنا رايـة الاستسـلام

جنـب طاولتي.لوحـة مـن ألـواح المتناقضات،الاهمال،الجديّة،الرسمية،العشـوائية..كلّها تجتمـع في صـورة واحـدة تـبرز معنـى أن يكـون الزبـون ملـكا ذو شـهيّة مرغوبة.تكلّـم هـاورد بسرّيـة ثـم أدلى بطلبـه للنـادل والـذي هـو نفسـه صاحـب المقهى،قـال لـه :عفوا...حـم حـم أريـد كـوب شـاي و قطعتـا كعـك بالعسـل...

النادل :عذرا سيدي ليس لدينا كعك بالعسل لدينا كرواسون.

هـاورد :بالغـت في توهمي،هـا أنـا أعـود لحيـاة بـلا عسـل ولا سـكر،تبً قالهـا بصـوت خافـت وأتبـع كلامـه

حسنا حسنا هات ما لديك.

وطن وسط الشمس

كالعـادة يلتفـت حسـن بعيونـه السـوداء إلى أمينـة و يخبرهـا أنـه يحبهـا بتلـك الرتابـة البـاردة و أن تهتـم بنفسـها جيـداً , و يهـم إلى طريـق العـودة ليكـون في السـكن الجامعـي قبـل التاسـعة مسـاءً . ذلـك فـرض عليـه كالصلـوات الخمـس , يمليـه عليـه ضميره اتجـاه فتـاة هـو بالنسـبة لهـا كل مـا تملـك .

بالطبـع لم يكـن التفكـير بأمينـة لـه النصيـب الأوفـر في طوابـير أفـكاره ,لاشـك أن الاضطـراب مـن أنبـاء اقـتراب الشـمس مـن كوكـب الأرض كان لـه الحـظ الأوفـر مـن الاهتـمام تحـت ارتفـاع درجـات الحـرارة الملحـوظ و السريـع , فيكفيـك أن تتصبـب عرقـاً لمجـرد أن تطلـب الأوكسـجين مـن الهـواء .

و بغـير عمـد سـاقته أفـكاره المضطربـة إلى منـزل الأسـتاذ كريـم الصالحـي , أسـتاذ المنطـق في جامعـة حلـب , و مؤنـس الـروح بروحـه الشـبابية بالرغـم مـن خمسـين عامـاً انقضـت فعـلاً مـن عمـره ليحتضـن حسـن منـذ دخولـه الجامعـة . لابـد أن يلتقـي ذلـك الحكيـم في خضـم الأنبـاء و التقـولات , فحضـور الأسـتاذ كريـم كفيـل ببـث السـكينة و تحليلاتـه للأحـداث تهدهـد عـلى أفـكاره الصاخبـة.

يسـتقبله الأسـتاذ كريـم كالعـادة بطقـوس الفلاسـفة التـي تجمـع بـين الفـوضى و كـوب الشـاي و الموسـيقى الكلاسـيكية , طقـوس تبـدو كالرحـم الخصـب بألـف فكـرة و تحليـل. ينظـر بطـرف عيونـه مـن خلـف نظارتـه الصغـيرة مرحبـاً بنـبرة وديـة متزنـة : « أهـلاً بعصفـور الحـب»

يهـز حسـن رأسـه مبتسـماً و رد و هـو يهـم بالدخـول :» عصفـور الحـب الجريـح , هـا !! كيـف حالـك أستاذي ؟»

«أفضل من حال عاشق يصطنع الوله»

«لازالـت الملامـة و التأنيـب سـلطان حديثـك معـي , دعـك مـن أمينـة , ولا تكـثر عـلي الهـم هـماً باللـه عليـك يـا أسـتاذ»

« الشاي ساخن أعددته منذ دقائق , اسكب فنجانك ريثما أنته من طباعة هذا البحث»

يرد حسن مازحاً و هو يسكب الشاي « عند الأستاذ كريم اخدم نفسك بنفسك»

كانت الموسيقى تغذي المكان رغم فوضى الكتب و فناجين الشاي , أو ربما هذا الطقس لا يكتمل إلا بفوضاه , المشهد الذي يشعرك أنك مستعد للعيش بشغف رغم الحر الملحوظ نوعاً ما تحت هواء التكييف البارد .

يبدأ الحديث حسن بترقب قلق «ما قولك يا أستاذ في أنباء المراصد الجوية و الهيئات الفلكية عن اقتراب الشمس من الأرض , أيعقل أن تصطدم حقاً بالأرض ؟!! أريد أن أعتبر ذلك خرافة و لكن الحر في بدايات مارس يبرهن صدق تلك الأنباء»

يوضب الأستاذ أوراقه دون رد يذكر , بنفس الأسلوب الذي اعتاده حسن من أستاذه , الأسلوب الشهي الذي يحفز فضول حسن ليفرز المزيد من التساؤلات و الفرضيات .

«ترى ما السبب لهذه الكارثة الكونية ؟ و هل من فرصة للنجاة منها ؟ و لو صدق الخبر , ماذا بعد هذا الانفجار ؟!! لا أخفيك أشعر بالقلق حقاً يا أستاذ»

يرد الأستاذ كريم ببرود و قد جلس قبالة حسن « ألست يائساً من الحياة ! تلك إذا فرصة ذهبية لتنتهي بهدوء , أعتقد أنك أثقلت المجاملة اليوم على نفسك في لقاء الحب»

« مصر أن ترجمني بسهام الملامة»

« مصر أن أرجمك بالحقيقة يا بني , فأما المسبب من منطلق منطقي بعد التصديق بالبحوث الفلكية و افتراض أنها على صواب , هناك رمزية واضحة علينا قراءتها , اقتراب الشمس من الأرض هو اقتراب الحقيقة من الزيف»

يقاطعه حسن ساخراً بود محبب « و نحن في مرحلة التسخين»

« ليتنا نمعن التفكير في تلك الرمزية , لأقررت بزيفك عندما تحب و لا تحب في آن واحد , و بحكم المنطق أعتذر عن التصديق بفرضية التعايش ذاك تحت أي بند قاهر , فكما خلف العلوم تفكير سليم فإن خلف العلاقات مشاعر سليمة»

« أتربط علاقتي بأمينة بكارثة فلكية قد تنهي العالم بلحظة !! « , سبق و شرحت لك يا أستاذ أنني آخر مل تبقى من أسرتها بعد ذلك الحريق اللعين النهم الذي التهم أجسادهم كلهم»

يقاطعه الأستاذ كريم « الوصاية لا تعني بالضرورة ارتباط بائس , ستعنفها على مصيرك المشئوم فيما بعد و تطيح بالوصاية في قعر حياتك التعسة»

يصمت حسن لبرهة و يتعمد تغيير الحديث « وصلني من أحمد عزام أخبار عن حركة مناهضة للنظام الحاكم في درعا , يقال أن أطفالاً كتبوا شعارات ضد الحكومة و أجهزة المخابرات في استنفار تام ضد الأهالي»

يرد الأستاذ بعد رشفة شاي طويلة : « تلك رمزية أخرى قد تبرهن فرضية اصطدام الشمس

بـالأرض و ليـس الاقـتراب و حسـب , يبـدو أننـا فعـلاً في مرحلـة التسـخين , قـد يكـون مـا بعـد الانفجـار عـالم آخـر حقـاً»

« أترجح صدق الكارثة الفلكية إذاً؟ وأي عالم ذاك بعد أن يحترق الكون؟!»

« و أرجح كونها ليست بالكارثة أصلاً»

« أنت تزيد قلقي و ارتيابي يا أستاذ»

يسـتطرد الأسـتاذ « ربمـا هـي ذات اللحظـة التـي تقـرر فيهـا أن تواجـه أمينـة بالحقيقـة , و ذات اللحظـة التـي يقـرر فيهـا الشـعب المكبـوت أن يريـد الحيـاة , و يقـرر فيهـا الجميـع أن ينظـر للحقيقـة بعيـون لا ترمـش , عندهـا لـن يكـون اصطـدام الشـمس بكوكبنـا كارثـة بالقـدر الـذي سـيكون سـبباً لتكويـن وطـن جديـد ....وطـن الحقيقـة ...وطـن وسـط الشـمس لا يهـاب النـار .»

يكتفـي حسـن بالصمـت و نظراتـه توحـي بالاسـتيعاب و التغـابي المصطنـع , يـشرب الشـاي دفعـة واحـدة عـلى عجـل و يسـتأذن بالانـصراف و خطواتـه المرتبكـة تحـكي عـن تصديقـه لمـا قالـه أسـتاذه كريـم .

لازالـت الأخبـار تتـوالى عـن كارثـة فلكيـة سـتضرب العـالم برمتـه , و لازالـت التسريبـات عـن حـالات تمـرد عـلى النظـام الحاكـم في جنـوب البـلاد تتدفـق , وكل ذلـك بالتـوالي مـع اللقـاءات المفروضـة للاطمئنـان عـن أمينـة اليتيمـة مـن كل أسرتهـا إلا حسـن .

يدخل حسن في حوار مع نفسه لا يسمعه إلا دماغه المكتظ بالأفكار : « لو افترضنا أن الكارثة ستقع حقاً , هذا يعني أن الحياة على شفى حفرة , سينتهي كل شيء , أن تشعر أنك تعيش يومك لوجوب عيشه , يشبه الحياة بلا حياة , اليوم بلا غد , الغد بلا أمل , حالة من الإرهاق النفسي جلية في شحوب الناس , الكل يتحدث عن نهاية العالم , بدا الجميع مذعوراً , و برغم ذلك هناك فئة تتمرد على نظام قمعي , والحركة تمتد بسرعة من أقصى الجنوب إلى كل البلاد, أي إرادة تلك للعيش رغم النهاية ! , هناك ثورة في الأفق , و شمس هائجة تقترب , هناك من قرر أن يكتنف الموت بهامات خضراء نحو الشمس , عندما تمتزج بالشمس لن يكويك لهيبها حقاً»

يقطـع رنـين هاتفـه سلسـلة أفـكاره تلـك و صـوت أمينـة المسـتبشر و قـد اقـترب هتـاف الطلبـة ضـد النظـام الحاكـم مـن سـاحة الجامعـة و قـوى الأمـن تلاحـق المتظاهريـن بعـصي الكهربـاء و الاعتقـالات

« الحمـد للـه يـا حسـن , أعلنـت هيئـات الأرصـاد الفلكيـة عـن تحـول في قيـاس سرعـة حركة الشـمس مـما يؤخـر اصطدامهـا بـالأرض إلى أجـل غـير معلـوم , حسـن , حسـن أيـن أنـت , أسـمع هتافـات , حسـن ؟!!! أتسمعني ؟!!!»

يـرد حسـن بعجالـة و جـرأة : «أمينـة ,أنـت أختـي التـي سـأرعاها حتـى نصـل إلى وطـن وسـط الشـمس»

وانضم إلى هتاف الطلبة في ساحة الجامعة « ارحل ... ارحل ....»

مهيرة عبدالسلام الجزائر

خريف السنديان

لندن ١٩٢٩

كان منزل بلير داوسن راقيا وعريقا يقع في منطقه منعزلة عن الناس تبعد اميالا عن العاصمة لندن، اذ كان من يريد الزيارة يستقل العربة أو السيارة،،، فجل ماكان يزورهم كان من طبقتهم الاجتماعية، رجال السياسه او صديق العائلة، السير كريس ووليفري...اما اغنياء بريطانيا الجدد لم يكن لهم مكانة لذا الكونت ويليام بليرداوسن الذي كان يعتبرهم حثالة متسلقين،،،وكثيرا ماكان يصب نار غضبه على بناته ،،،شارلوت الخامسة عشر وليدي، الحادية عشرة،،بصوت حاد لاتحلمن بالزواج الا من النبلاء،،،هذا ما جعل منهم فتاتان يصاحب الالم حياتهم ويعانق الدمع وجنتيهم القطنية، كانت ليدي الأخت الصغرى، عكس شارلوت، سرعان ما تنسى قساوة والدها لتذهب وتمرح مع حملها الصغير ويلي،،،

ذات يوم من شهر نوفمبر، كان الجو ملبدا، يرسل قطرات مطر خفيفة تلامس الزجاج ليرسم لوحة خريفية،، فتحت ليدي بليرداوسن عيونها على تغريد عصافير مهاجرة ، من نافذة غرفتها الواسعة، بشراشيفها المحكمه عند زواياها، كثوب للدمى الانجليزية،، اين كانت تنام هي و اختها شارلوت، نادتها حينها بددهشه مصاحبة بابتسامه بريئة انظري ،،، انظري، إلى هذا المنظر الصباحي، كانني ارى رقما شكله هذا السرب، الن نعتبره رقم للحظ، قالت لها شارلوت، يالروعه المنظر لكننك تعرفين انني لا احب الأرقام الفردية، ردت ليدي بحكمة رغم صغر سنها ، صحيح يا اختى رقم فردي،!!!لكن انظري، استطاع ان يضم جيشا من الطيور، فكرت حينها برهة، وقالت في ذاتها وهي تتمتم بصوت يكاد لا يسمع، ماذا لو كانت هذه فلسفه للحياة، لأنها معجزة الهية، سر طبيعي، سكنت ليدي عن الحركه، وبدأت تفكر، تحلل، وقررت أن تسبح داخل هذا اللغز، رسمت ابتسامة ثقة، لمحت الغيم، وسهوت ...أثناء شرودها لمحت البستاني ألبرت ميركايل، يقلم أظافر شجر البرتقال الذي بدأ يزهر ليرحب بالشتاء، بقبعته الوحيده التي لا يغيرها هي وحزامه الذي يقول انه مابقي له من صديق طفولته الايرلندي جيرارد واتس بيكر، والذي كان أيضا رفيقه في الجيش أثناء الحرب العالمية الأولى، كانت ليدي شديدة التعلق بالبستاني على غرار اختها التي كانت تقضي وقتها بعزف انشودات كنسية، كانت فتاة متدينة وقليلة الكلام جل وقتها تقضيه في دير السير كريس ووليفري والذي كان في نفس الوقت صديقا مقربا لوالدها الكونت ويليام بليرداوسن، وذلك لارتباط النبلاء برجال الدين كما يعرف أثناء تلك الاونة، كان لليدي شقيق إسمه هاري في السادسة عشر يعيش في فرنسا منذ أن كانت في الثامن من عمرها (١٩٢٦ كان يبلغ حينها الثالثة عشر) ،كان يعمل بمتجر للعطور. و دائما ماكان يبعث لها قنينه برائحه زهرة الزئبق، تحمل اسمها يزين غطاءها بشريط وردي عليه لؤلؤة، وبريد ،،كانت ليدي يتيمة الام، لأنها فارقت الحياة أثناء حادث بالقطار الذي كان يؤدي لايرلندا ...اذ لم يعرف بعد سبب تركها لعائلتها، فجاة حيث أنها تركت وراءها حاجياتها حقائبها ومجوهراتها..هذا ماولد حقدا شديدا لذى شارلوت.. فيما ان ليدي الصغيرة كانت متأكده ان امها تحبها وانها لم ترحل بسببهم.. لانها قبلتها بشده قبل

رحيلها،،وكان في شفاهها شيئا من الكلام ، كان والدها الكونت ويليام رجلا متكبرا، عنيدا، بارد، يقضي وقته في مكتبه او في امتطاء فرسه، كان ينزعج من أسئلة ليدي الكثيرة والفضولية حول امها.. اذ سرعان ماتحمر وجنتاه ويتقلص حاجباه أثناء نطق اسمها ، يفقد اعصابه ويدخن ويغلق الباب على نفسه طوال اليوم ، حاملا قلادة الساعة الفضية التي تحمل صورة كايت روز داوني الام الحسناء.....

قبل اثنتا عشر سنة ١٩١٧ قبل نهاية الحرب بسنة، ،،،حينها كان الكونت ويليام بلير داوسن مستشارا حربيا لدى الحكومة البريطانية، يعمل مع الكولونيل ريتشارد داوني،، ذلك الرجل للذي كان في العقد الثالث من عمره، كان ذا خبرة كبيرة في التكتيكات العسكرية، وذلك لانخراطه في الجيش منذ فترة مراهقته، وأيضا لانه ولد في عائلة سياسية وعريقة بنفس الوقت، كان احول العين، طويل الذقن، ذو شنب يغطي فاهه، شعر أملس يصل إلى الكتفين، كان يظهر عليه السكون والدقه،، صاحب هيبة تجعل من يراه يتلعثم ويسكن عن الحديث، قوي الشخصية لكن تبقى وحيدته الجميلة هي نقطه ضعفه، تلك الفتاة المدللة والمثقفة التي أخذت الحكمة والقوة من والدها إضافة الى أنوثتها الطاغية التي سلبت عقول أهل لندن، كان ريتشارد دائما ما يحمل وشاحا من ابنته ويضعه فوق زيه الرسمي، كانها تضع قطعه من الرقة والاناقة على زي حربي...ولم يكن الكولونيل يبدأ اي من اجتماعاته قبل ان يشم عطرها وكانه ياخذ البركة...هذه الفتاة كانت تدعى روز،،،منذ طفولتها كانت تسافر إلى بيت جدها من امها بايرلندا مع خادمتها كلير والتي كانت بمتابة شقيقتها، وذلك لتقارب السن بينهما، فهي كانت مؤنستها ورفيقتها الحنون والامينة، كانت تعمل بمنزل ال دلوني هي وعائلتها فيما كانت امها تهتم بوالدة روز المريضة التي تغادر سريرها بكرسي متحرك، لكن لم تكن لها القدرة على القيام بالسفر لمسافات طويلة، كانت دائما ماتبعت سلامها مع ابنتها لاهلها،،،

في يوم ربيعي استلمت روز الحسناء بريدا من جديها اللذان اشتاقا اليها، فسرعان ما جهزت حقائبها واستقلت القطار بسرعه ظنا منها ان احد منهما مريض ولايريد قول الحقيقة،،، عندما وصلت وجدت جديها يحتسيان الشاي بحديقة منزلهما الذي لا يكاد يرى من كثرة الورود والزهور التي تزينه، عانقتهم وقبلتهم، وذهبت مسرعه إلى حصانها البني الذي اهداه لها جدها السير تشارلز جونز (حصل على لقب السير من اعماله الخيرية) امتطته مباشرة حتى انها لم تغير ملابسها وكأنها تعشق سحر ايرلندا ،،،فيما كانت تجول تلك المروج، رافعه يديها وكأنها تحلق وتقول اووووو كم احب الحرية كم احب ان يحس كل احد بهذا في كل أرجاء العالم،،سرق الحزن ابتسامتها فجأة لانها كانت كطير السلام،،،أو كملاك من جنات اسطورية، طاطات رأسها برهه فإذا هي تلمح ارنبا صغيرا جريحا عند حافة النهر وكانه يستنجد احدا، نزلت من على صهوة حصانها فري، (فريدوم اي الحرية) واخذته بحضنها، قبلته على قدمه الصغيرة ومزقت شريط فستانها الأبيض لتلف جرح الحيوان الصغير، لما كانت تمشي،،،قالت ساغني لهذا الكائن البريء لعله يشفى،،،حضنته برفق وامسكت بحصانها فريدوم بيد، فأخذت تغني، املة في تخفيف المه،،،،،،ياصغيري ياصغيري ياقطعه من الجنه يا ابيض كالسلام، ابتسم، انظر لهذا اليوم، ما اجمل

الربيع ماجمل الزهر»»»»،،غنت حتى وصل سحر صوتها إلى الحقول المجاورة لذلك الطريق الترابي بين الاشجار، كانه ناي،، عندها سمعت احدا يقول، مالطف هذا الصوت، ياريته يحرر العالم من الحرب، استدارت مرات عديدة قائلة من هناك، والخجل يرسم ورودا بخديها،...ثم قال لها مارايك بصحن من الزيتون والخبز،لابد انك جائعه، وقطعه جزر لهذا المحظوظ الذي تحميلنه،، تبسمت وقالت ليس قبل ان ارى من ، وكأن الابتسامة تغلبت عليها ، فجأة ظهر ذلك الشاب وكأنه نزل من الخيال بوسامته متكئا على شجر اللوز، انا غبي فضولي،،، لا افقه في اللباقة شيئ،،،حينها تعرفت على جيرارد، ذلك المزارع الذي كان يعمل بحقل للزيتون،،، كان لجيرارد كلب صغير أطلق عليه اسم سترونغ ،،لانه كان يتميز بالقوة وحدة النظر، كان مثل ضله بل اوفى من عائلته،، هذا لان جيرارد صارح روز، وسرد لها قصة حياته بطريقة مختصرة كاكتساب لثقتها من أول لقاء بينهم،، وذلك لاعجابه بها من أول وهلة،،، تربى وكبر في ميتم عند الاخت كوليت رينوا التي تنحدر من أصول فرنسية ،،في ايرلندا، كانت حنونة جدا أكثر من امه التي انجبته،،على حسب قوله، فهو لا يعرف عنها شيئا سوى بقايا لمساتها في قطعتي ملابس مازال يحتفظ بها ، ثيابا خفيفة كان يرتديها أثناء وضعه عند باب الدير، في فصل الشتاء المثلج،،ملفوفا متل السجارة في غطاء رمادي كانه رث بثقوب اخيطت مرات عديدة،،، أثناء سرده لحياته كان الدمع يرتكن بجانب عينه و صفحات جفونه ،فينظر جانبا ماسحا بطرف ثوبه المتعانق بقفاز بلاستيكي مليء بالتراب مخفيا ضعفه برسم ضحكة مضطنعه وقول اووه، ليحجب حجم معاناته،،بعدها قام بضرب ركبة روز مازحا ،،هععاا وانت احكي لي قصتك لابد انها مثيرة وليست محبطة كقصة حياتي،،،سكتت روز بعد حركته هذه ونظرت اليه، قالت: الم تحاول البحث عن عائلتك، أو على الأقل معرفه ماحدث قبل ان تحقد عليهم،،،الم تفكر يوما انهم اضطرو لذلك،،أو فرضت عليهم قسوة الظروف تركك في امن مكان في ايرلندا،،فجاة قال لها لا ارى سببا لترك رضيع مهما كان، واغلق الحوار وقال هيا عزيزتي سيحل الظلام لابد أن عائلتك ستقلق عليك،،، ردت روز الهذا انخرطت بالجيش ،المعاقبة نفسك، ابي في الجيش ولكنه لم يستعمله للهروب من واقعه لان عائلته هي أول أولوياته قبل كل شيئ،،،الى جانب ذلك انت لا تبدو إنسانا ضعيفا او قاسيا،،،قال لها ،،انخرطت بالجيش لاحمي بلدي حتى وان مت لن يكون هناك من يفتقدني على الاقل يبقى اسمي راسخا في أذهان شعبي كبطل حرب...ثم انا بين الحينه والاخرى اقوم بمساعدة والد صديقي المقرب ألبرت بحقل الزيتون،،، انا اخو وابن وصديق الكل،،لا تابهي لحالي....قالت روز يالك من رجل احمق،،حملت الأرنب وامسكت بالحصان ورمت بقطعه من الجزر التي بقيت من الأرنب بعيدا لدرجه ان سترونغ ذهب ليعيدها ظنا منه انها تلاعبه...ركبت فريدوم ، وانطلقت بسرعه،،، كان جيرارد ينظر إليها وكانه يرسم ابتسامة لا تكاد ترى،،، ويلمحها إلى ان غابت عن الانظار،،،انبطح ارضا واضعا سترونغ فوق بطنه وقال له مبتسما والإعجاب يتحكم بتراسيم وجهه، ماسحا شعره براحتى يديه بعد انتزاعه للقفاز،،،وقال ،يالها من امرأة،،،

فضلت روز المشي قليلا بعد ضمنت انها اختفت عن أنظاره ،،، وتركت فريدوم تمشي بجانبها بحرية،، شارده تجلس ثم تمشي ،تلامس الزهر ،ثم تقطفه ،،، تقبل الأرنب تارة وتحضنه تارة

أخرى قائلة، مااصعب العيش بعيدا عن الاهل ، ترى هل هو على حق، عندما قال ان لا سبب يجعل الام تبتعد عن صغيرها مهما كان...

نعم انه على حق،،، اووف وكان هناك حزنا اجتلاها فجاة، وكأنه قصدها بكلامه ،،ترى هل ظلمته عندما ناديته بالاحمق،،تبا لي،،،في هذه الأثناء كان جيرارد يستحضر حواره مع روز ويقول هل انا فعلا احمق، هل ماقالته صحيح ،،هل ظلمت امي بالحكم عليها،،، يصمت ثم يقول،، لا لا لا اظن....وسترونغ يلمحه بغرابة ويحاول لعق جانب وجهه كمواساة له،،،ويقول له جيرارد أرأيت يا عزيزي ،،،انا وانت يتيمين ليس لنا الا بعضنا،، بل لا يمكن لأحد أن يحس بنا الا اذا عاش نفس ما عشناه من بؤس و حزن،،،الا اذا لمح الشفقة من وجوه الناس كالتي لمحتها من الكل طوال حياتي ،،حتى قبل قليل من نظرات روز....عندها كان ألبرت صديقه وابن البستاني الذي يعمل عنده ،،يناديه وكانه كان يبحث عنه في الأرجاء هل انت هنا ظننتك اختفيت كعادتك...فانت منفصم الشخصية ياخي يقولها ضاحكا،،، تختفي لمدة طويلة حتى أنني ظننت مرات عدة انك مت بالحرب،،أقامه من الأرض بيده وعانقه،،يا اخي الوحيد الذي لم تلده امي....

وصلت روز لمنزل جديها والليل يخيط ثوبه وينثر نجمه كالماس و فوانيس سحرية،،،ولما دخلت وجدت جدها ينتظرها على كرسيه الهزاز،،عند مدخل البيت في يده كاسا من الشاي الساخن والليمون، عليه قطرات من العسل،،لمح روز وظل ينظر إليها ويبتسم ثم قال، لن اسالك اين كنت ناظرا إلى ثوبها الممزق في طرفه وذلك لنزعها شريط الخصر،،،لاحظت روز ان جدها كان قلقا قليلا لكن لم يحبب استجوابها لانه تعود على رجوعها ليلا لما تاتي لايرلندا،،،جلست إلى جانبه على حافه الكرسي الهزاز وقالت له،،، قلي ياجدي،،هل هناك سبب مهما كان يبرر ترك ام لاولادها،،،طاطا راسه قليلا ونظر بطرف عينه إلى الارض ثم رفعها للسماء،،،وقال أتدرين ياابنتي تمنيت لو تركتني امي رضيعا في شارع على الاقل كنت ساعيش على امل لقياها،،،هي بإختصار كطرف من الجنه يملك حضنا حنونا ،،صدقيني مهما احن عليك كل العالم ونسج حبه لك في حضن قطني،، لن يكون متل حضن امك،، الذي يتناغم مع دقات قلبها التي تحرصك وتدعو لك،،،انا امي غادرت الحياة تماما اثناء ولادتي،،،انا لم انعم بفرصة لمسة واحدة من يديها ياروز،،،صدقيني لن تترك الام ولدها ابدا الا اذا ضمنت انه بمكان امن يحظى به بأشياء لا تستطيع ان تقدمها له، صدقيني ايما كان ما حدث لك اليوم وماسمعته تذكري دائما أنهاتدعو لنا من سابع سماء، إذا ماتت أو سابع ارض اذا مازالت حية، قولي لي،،لماذا طرا هذا السؤال على ذهنك فجاة،،،ردت لا لا ياجدي فقط اردت ان استشيرك في صحة هذا الموضوع،، فضحك وقال لها وهو يمسك أنفها الصغير بين اصابعه انت اروع ام في العالم انا متأكد من ذلك، لا تظلمي نفسك بسبب الظروف،، ثم تابع ضحكه وقام وطلب منها ان تستريح بعد هذا اليوم،،،ابتسمت روز وتذكرت اه ياجدي ساعرفك غذا على حضن قطني بعيينين واسعتين تعرفت عليه اليوم وانا اتجول،،قال اووه من هذا ياترى،،ردت ارنب صغير جريح يا جدي ....دخلت معه وصعدت معه السلم ،،في هذه الأثناء كانت صديقتها تساعد جدتها في عمل تدليك لكتفيها،،،وتسرد لها قصصا مضحكة،،،اه جدتي (هكذا كانت تنادي الخادمة وصديقة روز السيدة سكارليت لاعتبارها من العائلة فلم يكن السير تشارلز و زوجته

مـن النـوع المتكبر والمتغطرس رغـم طبقتـم الراقيـة) جـدتي لابـذ ان روز قـد عـادت،، سـاغطيك واقبـل جبينـك واذهـب لاسـاعدها عـلى الاسـترخاء،،خرجت والتقـت بالجـد يمـازح روز في الرواق،،وقالـت اووو مااجمـل لقـاء الجـد والحفيـده بعـد غيـاب طويل...الحكمـة والتعجـرف،، تـم ضحكـت فقالـت روز هـل تقصديـن انني متعجرفـه سـاريك،،ذهبتا عـلى هـذه الحالـة إلى الغرفـة فيـما دخـل الجـد تشـارلز لغرفتـه لينـام وهـو يضحك...ثـم عـادت روز وكأنهـا طفلـة صغـيرة اسـتاذنك جـدي ،ولكـن لـن أنـام حتـى اقبـل ملكـة حيـاتي الارسـتقراطية....

،(كانـت روز ذات شـخصية تشـع بالحيـاة ،جـمال ملائـكي وقلـب طيـب وحنـون كانـت إنسـانية لأبعـد حـد ،هدفهـا الوحيـد السـلام وإنهـاء الحـرب، فكثـيرا ماكانـت تلـوم والدهـا وتسـتجوبه اذا عرفـت انـك قتلـت روحـا بريئـة لـن اسـامحك...كانت دائمـا تـردد هـذا الـكلام وتلـوم السياسـة والظلـم الـذي كان يجتـاح العـالم اثنـاء هـذه الحقبـة...)

في ذلـك السريـر الدافـئ بغطـاء ابيـض مطـرز الأطـراف بـورود بنفسـجية في غرفـه راقيـة كغـرف الاميرات بضـوء خافـت ينبعـث مـن الشـمعدان الـذي اشـتراه السـير تشـارلز مـن مـزاد علنـي، كانـت روز تنـام كطفلـة بريئة،كانـت السـاعه تشـير إلى الرابعـه صباحـا وخمسـون دقيقـة، سـمعت روز صـوت حجـارة تـضرب نافذتهـا الضبابيـة مـن أجـواء ايرلنـدا البـاردة، ظنـت في الوهلـة الأولى انهـا تحلـم لكـن سرعـان ماافاقـت ووضعـت معطفهـا الصـوفي وذهبـت لتطـل، نظـرت بعينيهـا الجميلتـين بلـون العسـل لكـن لم تـرى شـيئا بالحديقـة التـي تعانـق اشـجارها مدخـل الغرفـه، ثـم اختفـت خلـف السـتار لتتاكـد مـن وجـود ظـل شـخص يحـاول اسـتفزازها ، فقالـت مـن هنـاك ،وردت مـن هنـاك ، وبمـا ان منـزل الجديـن ليـس لديـه حـارس اسـتطاع أن يدخـل بسـهولة، لكـن سرعـان ماسـمعت روز صـوت نبـاح كلـب، فقالـت نبـاح كلـب هـذا يعنـي ان الشـخص المتطفـل يرافقـه كلبـه، نزلـت مـن غـير ان تحـدث ضجـة، لأن الغـرف الاخـرى في الجهـة الخلفيـة للمنـزل، نزلـت روز وبيدهـا الشـمعدان، خرجـت مـن غـير خـوف، وقالـت يالـك مـن جبـان ايمـا كنـت،، كانـت روز ذكيـة جـدا ثـم ابتسـمت وقالـت، مـن أخـبرك بعنـواني ياتـرى، بعدهـا خـرج جـيرارد مـن بـين الاشـجار وقـال الم أقـل لـك انني افتقـر للرقـي، هههـ، ضحكـت روز وقالـت لابـذ انـك سـتتعبني أيهـا الايرلنـدي المتطفـل، وازداد ضحكهـا، حينهـا حـك راسـه وقـال، اجـل عزيـزتي جهـزي نفسـك، كان جـيرارد عكـس روز ذو شـخصية مرحـه جـدا لحـد المبالغـه، يضحـك عـلى اتفـه شـيئ، ويلبـس سراويـل محكمـة مـن الاكتـاف بجيبـي في وسـط الصـدر، وقمصـان ذات مربعـات متمازجـه الألـوان، وقبعـه، فيـما ان روز كانـت تتسـم بالهـدوء والاناقـة والمحافظـة في لباسـها، إذ لا يظهـر مـن جسـدها سـوى الوجـه وخصـلات مـن شـعرها البنـي تحـت القبعـات الورديـة،

طلبـت روز مـن جـيرارد ان يتكلـم بصـوت خافـت لـكي لا يفيـق جديهـا، وقالـت لسـترونغ اسـكت يـا صديقـي، يالـك مـن كلـب لطيـف وحكـت راسـه براحـة يدهـا القطنيـة حينهـا توقـف عـن النبـاح، واخـذ يلـف حولهـا لاسـتلطافها، كانـه احـس بطيـب قلبهـا ونقـاء روحهـا الملائكيـة،، طلبـت روز مـن جـيرارد الجلـوس بجانـب شـجرة التـوت التـي في الحديقـه الخلفيـة والتـي تتكـئ عـلى تمثـال رجـل يحمـل بيـده رسـالة، تعجـب جـيرارد وسـألها بفضـول مـن هـذا التمثـال لم تـرى مثلـه مـن قبـل، قالـت انـه جـد جدهـا السـير تشـارلز ويسـمى انجـل هـاري كان رجـل مثقفـا وكاتبـا عـاش بـين ١٧٥٣ ،-١٨٢٠،،

،،وبالنسبة للرسالة فهذه موجوده لحد الآن كارث يتوارث لكن لا يحق لي معرفة ماكتب فيها،،،لف جيرارد متعجبا، لو كنت مكانك لسرقتها لاقراها لانني فضولي، ومن سيرثها الآن إذن، قالت: المهم ليس انا لا تسالني اكثر،،،واعطني هذا الشمعدان انه اهم عندي من الرسالة لانه هدية جدي لي من يوم ماكنت في السادسة وبكيت لأحصل عليه ،حتى قدمه لي من المزاد،،،جدي تشارلز مثل ملاكي الحارس لا استطيع ان ابتعد عنه سوى لما اشتاق لاهلي،،،ابي رجل حنون، طيب، لكنه يفتقد لشيء حتى انا لم استطع ان اكتشفه،،، موجود عند جدي كسحر، كحب ممزوج بالأمان،،،معه احس اني بعيدة عن جو السياسة والمهمات العسكرية والحربية التي تاخده مني من غير سابق إنذار،،،اتعلم جيرارد أريد ان أرتاح، أريد أن يعم السلام في روحي،،،كيف هذا والناس تموت وتتيتم وتتشوه في حرب لاحول لها فيها ولا قوة،،،هل رأيت يوما قائدا غنيا ثريا مات بساحة المعركة،لا طبعا نادرا مايحدث،فما يموت سوى ارباب الأسر الفقيرة والضعفاء ....طاطا جيرارد راسه وأحس بوخز في قلبه من كلمات روز المؤثرة،،، لمح ضوء القمر ينعكس على خذها الذي ملاته الدموع،،،واخذ منديله الموجود في جيبه الصدري ومسح بحنان وجهها وقام بتقبيل يدها،،، هذه هي الحرب ياعزيزتي، أحيانا يجب ان نتقبل الوضع اذا عجزنا عن تغييره، وإذا اردنا التغيير،،، يجب أن نواجه،،،أو نموت....لكن انا ياعزيزتي لاأؤمن بهذه النظرية ،،،اتعرفين ،تتذكرين ماقلت لك مساء اليوم،،،انني احارب لاثبت اني بطل،،،احارب لاموت فليس هناك مايبكي على بعد فراقي سوى سترونغ،،،نبح سترونغ حينها ظنا انه يناديه وقفز فوق كانه يعانقه ويشعره بحبه،،، تاثرت روز وقالت وصديقك ووالده والناس الذين يحبوك،، التف جيرارد وقال،،،لا يا عزيزتي،أحيانا أجد راحة بالابتعاد عنهم لا ارادياً،،،لانني تعودت على الوحدة ،،،لا يمكنك ان تتصورى ماذا تعيشين من لحظات صعبة عندما تكبرين بميتم اودير،،،حتى لو كان الكل بجانبك،،،لا تستطيعي ابدا ان تواسي قلبك وتشعريه بالسعادة المطلقة،،،اتعلمين لماذا يسود الظلم هذا العالم ،،،لأن اغلب الذين شنو وابتكرو وقامو بهذه الحروب،،،كانو يوما أطفالا بريئين اغتصبت روحهم واهلكتهم الظروف،،،لايمكن ياعزيزتي لن تغيري شخصا مسحت خيبة الظن الحياة منه وسلبته أحلامه ،،،لا يمكنك ان تعرفي مايدور بعقل طفل يعيش في واقع جردت الإنسانية منه،،،فإما ان يولد مجرما او يكون شبه رجل يعيش كالظل مثلي بالضبط .....في هذه اللحظة مسكت روز يد جيرارد وقالت له،أتقبل صداقتي،،،سكت وقال لاارید ان اتعودعليك واهرب اخاف عليك مني اذا احببتك،،،ابتسمت روز وقالت لكن انت لم تجرب الحب يوما ،يمكن للحب ان يغير نظرتك للحياة ،فالحب لغز لم يستطع تفسيره احد ومعجزة الاهية ملات قصصها كتب التاريخ ،،،الحب اذا وجد وجد السلام الداخلي وإذا وجد السلام الداخلي، عم العالم باسره واجتاحه ....هنا تبادلا نظرات اعجاب ببعضيهما كانهم يعرفون بعضهم منذ زمن بعيد،،،بعدها قال مزحة والدموع في عينيه الخضراوتان المتعبة،،،حذاري انا جداب ووسيم لاتعشقيني،،،ضحكت روز وقالت،،،يالك.من مغرور،،،قامت وقالت اوو بدأ الصباح يسدل ستاره وبدات النجوم بالاختفاء،،،هيا يجب أن ننام فجدي قارب على الاستيقاظ....ذهبت، بعدما وصلت المدخل نظرت اليه بحب وثقة وأرسلت له قبلة بيديها ،،،غادر جيرارد المنزل مع سترونغ توجه مباشرة لحقل الزيتون ليبدا يوما جديدا كانه بداية لحياة تمناها طويلا ....

كان طريق الذي يربط بين منزل السير تشارلز و الحقل الذي يعمل به جيرارد ريفيا ضيقا تتشابك فيه ايادي الاشجار لتشكل قوسا اخضرا وكانه مدخل سحري لبلاد العجائب، كان جيرارد يمشي وخلفه كلبه، يبتسم تارة ويسهو تارة أخرى، فجأة اتكا على إحدى الاشجار ولمح وهو ينظر بين تلك الأقواس خيوطا ذهبية لطلوع الشمس، ركز فيها وقال في نفسه، ما اجمل هذا النور الذي يبزغ بعد العتمة الشديدة ، كانه ينفخ في الناس روحا واملا، يبعث شعاعه كطاقة إيجابية تمنحهم الحياة بعد الموت، السعاده بعد الحزن، الحب بعد الحرب، ثم تنهد وقال، ماسر هذه الفتاة، كانها لمست اوتارا ظننت اني لا امتلكها ، بريق يعيني لم الحظه قبلا دقات متسارعة في قلبي كانها تحييه بعد الموت ،،كانني فقدت قلبي وملكته في نفس الوقت، احس باوركسترا تغني في وجداني ومنبها ايقظ ركود انفاسي لاحب الحياة أكثر، واتقبلها وانظر إليها من زاوية أخرى أكثر إشراقا تماما مثل هذه الشمس الصباحية ...تذكر حينها انه يجب أن يذهب لدير الاخت كوليت رينوا التي ربته واعتنت به كوالدته او اكثر، فقد كانت تحبه لدرجة كبيرة جدا إذ ان جيرارد لا يخبئ اي شيء عنها ، فقال في نفسه ساطلع كوليت، وبعدها ساعرفها على روز قبل عودتها للندن، احس حينها بحزن شديد وكان شيئا سيسلب منه بعد ان ملكه، حلما جميلا سيستيظ منه قريبا،،، عندها تذكر ان روز لن يدوم وجودها طويلا، إذ ليس عليه ان يتعود عليها،،،لانه لايريد ان يخسر من يحب دائما.... إذ عليها العوده، وفي طريقه اخد في صراع داخلي مع نفسه، وتنهدات متواصلة ماسكا بطرف شعره مشابكا يديه عند رقبته الخلفية،،،فجاة لمح فوجا من الأطفال مع رجل كهل في طريقهم إلى الدير،،، توقف برهة وقال لابد انهم من الايتام او من من فقدو أهلهم في هذه الحرب اللعينة ، ذهب جيرارد واخذ يقفز ويلعب بالحجر هو وسترونغ كنوع من لفت أنتباههم ،رغبة منه ليحسسهم بالفرحة والطمأنينة قبل دخولهم لجو ذلك الدير الهادئ والمعتم يتوقف فيه الوقت، في هذه الأثناء نطق احدهم بصوت عال واضعا فمه بين يديه للمفتوحتين وقال لجيرارد ،ا يالك من غبي أيها المهرج، فضحكوا بصوت عال واخدو يمزحون،،، الا واحدا كان بينهم منفردا من الصف، بجسم هزيل ،وشعر برتقالي مجعد. والخجل يمسح تقاسيم وجهه البريئة والمتعبة كانت لديه ضربة على حاجبه كانه حادث لم بمر عليه وقت طويل، كان اثر الخيط بارزا فوق حاجبه، نظر اليه جيرارد دون ان يابه لهؤلاء الأطفال لافتا نظره ذلك الطفل الانطوائي،،،ذهب اليه جيرارد و انطوى على ركبتيه ماسكايديه الصغيرتين الباردتين كالثلج، واخذ ينظر اليه متذكرا طفولته كانه مرآة عكست كل ماضيه في لحظة واحدة،،،سكن حينها لمده ثم قال له بصوت يكاد لا يسمع ، هل تصبح ابني الصغير حتى قبل ان يسأله عن اسمه،،،لم يرد الطفل في أول الأمر ، ثم اخذ يحاول ويحاول دون ملل فرد عليه فجاة، نعم واستمر جيرارد يعيد طلبه ثم التفت ماذا هل تكلمت هل قلت شيئا، ماذا قلت للتو ، رد الصغير: ،لكن لدي ابي ولااريد غيره،،اقبل الصداقه فقط،فقال جيرارد ما المشكلة إذن الن تحب ان يكون لك اثنان، كل واحد يعوض الآخر اذا غاب احدهم،،،فقال موافق لكن ستعدني ان تأخذني اليه لانه سيعود قريبا لانه وعدني بذلك وانا انتظر هذا منذ كنت في الخامسة من عمري،،،عانقه جيرارد فجأة وضمه بقوة إلى صدره متأكدا ان والد الطفل قد مات او من المفقودين،،،ثم سأله عن سبب جرحه بعدها نودي له ان يرافق هؤلاء الأطفال للداخل،،،دخل جيرارد ليقابل الاخت كوليت مودعا الطفل وبعدها قال له ماسمك

أيها الأمير، فنطق أحد هؤلاء الأطفال الا ترى انه يشبه الجزرة اكيد اسمه كذلك،،،غضب جيرارد بطريقة هستيرية وانب ذلك الولد مما أثار صراخه سمع الاخت كوليت،،،فنادته مباشرة وطلبت منه الدخول ،،،تنبه جيرارد لرده فعله مع الطفل ثم قال له يجب أن تتعلم الاحترام والحب انهم قوانين الحياة ،، لكي تتلقى نفس الشي بالمقابل....نادته الاخت مرة ثانية وقالت له، معقول يا ابني انه ولد لم يبلغ الثانية عشر لماذا صرخت بوجهه، قال : ،لا اظن ذلك هذا هو الشريط الذي يظل راسخا بالذاكرة لابد من ذلك، انبته أمام ذلك الطفل الانطواءي ، لأعيد له بعض الكرامة ،فقالت لقد لاحظت انه نظر اليك حتى وصولك عندي وكانك منحته شيئا من الأمان....معك حق، إذن أخبرني عزيزي وكان هناك شيئا يجب ان أعرفه، انت ابني وأستطيع دراسة باطنك وما يدور في راسك من نظرات عينيك الزمردية.....هيا إذن لنذهب الى الحديقه وساحضر لك بعض الشاي الساخن ....اسبقني إلى هناك

ايرلندا ١٩١٧

كانت باحة الدير كسجاد من الأوراق المتساقطة، متعدد الالوان، يجمع بين البرتقالي والبني والياجوري، تتوسطه نافورة توقف الماء عن السيلان فيها، ومطليه ببعض التراب والطين، باوراق متناثرة جفت جلها، كانه خالي من الناس، ومنسي، تحيط به كراسي من الخشب العتيق،، باقواس جانبية من الحديد، المزركش، وبجانبها اثر دراجة هوائية رسمت دوائرة لا متناهية فوق الطين، لاحد الأطفال الايتام اهديت له من احد الأغنياء المتطوعين، في هذه الأثناء، أحضرت كوليت الشاي ووضعت غطاءا بلاستيكيا فوق الكرسي، كي لا يبتل ثوبها، جلست بجانب جيرارد و طلبت منه الدخول لبرودة الجو، كي لا يصاب بالزكام، لكنه هز راسه يمينا وشمالا، قالت طبعا، أنت لم تتغير مازلت كطفل صغير، حتى تصرفاتك هي نفسها، حسنا ...عموما أحضرت الشاي وهذا الغطاء لنستدفء تحته ونحكي مادام المطر اخف من القطن،،لامست كتفه بكتفها وهزته مازحة، أخبرني ما الأمر الذي جعلك تزورني في هذا الوقت المبكر، فمن عادتك ان تذهب للحقل لابد أن ما اتى بك شيئ اهم، ، رد عليها، امي، هل يلتقي الجمال والأدب ،الرقي والتواضع الحكمة و الموهبة، القوة والضعف، حتى الحرب والسلام في شخص واحد،؟ اجابت لابد من ان يكون هذا الشخص مميزا في الكون وليس فقط في العالم،،ابتسمت، وحكت انفها برفق، وقالت مممم ،كأنك نسيت الانوثة،،استطعت ان اكتشف هذا من ملامحك التي تحولت للون الوردي وانت تتكلم عنها، وبريق لم الحظه في عينيك من قبل، اجابها بابتسامة بريئة مشابكا يديه فوق ركبتيه، متنهدا ، اجل اجل اجل،،

فقالت: انظر الي جيرارد، هل وجدت هذه المواصفات في امرأة او في قصة خيالية، من قصصك أثناء الزوال ، قال إذن ا اعتبريها كذلك، فهي تجمع بين الواقع والخيال، بين الماضي والمستقبل، بين الجنه والنار ، كغيم تراه لكن يصعب عليك لمسه،، هي .... كحلم ...احس انني فعلا دخلت في رواية لااعلم إلى اين ستاخذني أحداثها، هل ياترى ستكون سعيدة أو حزينة، سكتت كوليت رينوا، ووضعت يدها على قلبه، تنهدت وقالت، لابد لهذا القلب ان يسعد، فالإنسان يولد بنصف قلب ،ويقضي حياته باحثا عن نصفه الثاني، ليكتمل، لتتوازن حياته، ليشفى من تناقضاته الداخلية،

لينجـو مـن ظـلام ظـروف فرضـت عليـه، فالحـب عامـة يمنحـك القـوة لتواصـل، يشـحنك في فـترات ضعفـك، بنـضرة ابتسـامة، لمسـة، قبلـة حتـى رسـالة... ،ابنـي

أحيانـا تمنحنـا الحيـاة فرصـا واضحـة، لقـصر وقتهـا لا تحتـاج للتفكـير، لأن التفكـير أحيانـا يسـتند بنظريـات بعـض الأشـخاص المعقديـن، مـن مـن وضعـو نفسـهم ضحايـا، ليغـيروا مـن افكارنـا مـن تجاربهـم الفاشـلة ونظرتهـم السـلبية، فكـر لتمنـح نفسـك هـذه الفرصـة، اسـتمع لمايمليـه عليـك قلبـك و عقلـك وعـش الحـب، خصوصـا في أوضاعنـا الراهنـة، يحـق للإنسـان ان يعيـش قصـة خياليـة تأخـذه مـن جـو الحـروب والدمـار. فلنـا دائمـا في الخيـال حيـاة، اخـرى تشـبهنا اكـثر مـن غـير قيـود، ..فـماذا إذن لـو كانـت عـلى أرض الواقـع،،،لا تسـألني، أشرب الشـاي، تنفـس عميقـا واذهـب ....في هـذه الأثنـاء، قـام جـيرارد .فتـح ذراعيـه مغمضـا عينيـه مستنشـقا هـواءا وكانـه قـضى حياتـه مخنوقـا بمنجـم للفحـم، أو بمنـزل معتـم في بـلاد منسـية، احـس وكان الأمـل يرسـم طريقـا ويبعـث سـلاما في اطرافـه وانفاسـه، وكان لـون الحيـاة احيـى ملامـح البـؤس والحـزن في وجهـه، ذهـب وهـو ينظـر للسـماء الملبـذة تطـل الشـمس منهـا بـين سـتائر مـن الغيـم، وكان هنـاكا قطنـا مبعـثرا في السـماء، وقطـرات مطـر ترسـل لـه رسـائل مـن هـذا الجـو الخريفـي، الـذي بـزغ الأمـل فيـه كـما بزغـت الشـمس، واصـل طريقـه على هـذا الشـكل إلى ان وصـل لمخـرج الديـر عندهـا ودع كوليـت مبتسـما وكأنـه عـرف حينهـا معنـى للحيـاة كان كلماتهـا ايقضـت ركـود قلبـه، ثـم رفـع عيناه للاعـلى برهـة أثنـاء سـهوه وتفكـيره، بنظـرات متوزعـه عـلى حيطـان ونوافـذ الديـر ، حينهـا فجـاة، لمـح ذلـك الصغـير دو الشـعر البرتقـالي المموج، ينظـر إليـه من خلـف إحـدى النوافذ واضعـا يديـه عـلى الزجـاج الضبـابي، نظـر اليـه جـيرارد وابتسـم لـه بحـب وارسـل لـه قلبـا مـن اصابـع يديه،،،فجـاة نفـخ الطفـل عـلى الزجـاج وقـام برسـم قلـب باصبعـه السـبابة النحيلة،،،كرسـالة ود وثقـة لجيرارد...هنـاك لم يتمالـك نفسـه مـن الفـرح مغـادرا مـع سـترونغ، كان اليـوم يهتـف بـأوراق خريفيـة متناثـرة في الهـواء مـع موسـيقى ريـاح كانهـا سـمفونية مـن عـالم الخيـال. تغريـد عصافـير مهاجـرة كالحـان مـن الجنة،،صـوت النهـر المجـاور يخاطـب مروجـا تداعـب الهـواء كحريـر متجانـس الالـوان، قـال جـيرارد في نفسـه ارى ايرلنـدا كلوحـة فنيـة متحركـة،، غرسـت بـين جـدران سـوداء،، لوحـة تسـتحق السـلام في مـكان تـاكل الحـرب فيـه الأخـضر واليابـس،،،اه لقـد مـر الوقـت بسرعـه سـاذهب للحقـل...

في هـذه الأثنـاء كانـت روز تجهـز نفسـها في غرفتهـا برفقـة صديقتهـا كلـير، وتخبرهـا عـن كل مـا حـدث لهـا في لقائهـا مـع جـيرارد ، فرحـت كثـيرا، وقالـت لهـا يـاي يـاروز لم ارك مهتمـة مـن قبـل باحـد رغـم ان الـكل يتمنـاك ومـن احسـن رجـال لنـدن، تـرى مالـسر الـذي جذبـك لهـذا المحـارب الفـلاح الايرلنـدي ،،،قالـت،

انـا اشـعر بـشيء يخطـف أنفـاسي لكـن يعطينـي الأكسـجين في نفـس الوقـت، اشـعر بـشيء أقـوى يجتـاح قلبـي وتتسـارع فيـه ضرباتـه شـيئ لا يوصـف لا يكتـب فقـط يحس...شـعور . ليـس لـه اسـم ليس حبـا بـل اكـبر بكثير.ليـس هياما ولاجنونـا انـه يجمعهـم لكـن بعقل..ربمـا سـاطلق عليـه اسـما ...لكـن لـن يليـق بـه لانـه مثـل الريـح لايـرى بـل يحـس ..كتاريـخ مـن كل قصـص الحـب برمتهـا احيتنـي فجـأة. هـذا مـا أشـعر به..لااعـرف حقـا كيف...قالـت لهـا ..كلـير.....كل هـذا يختـصر بقول،،،انـا مغرمة...فأنـا رايـت اكـثر مـن ماقلتـه في تقاسـيم وجهـك وارتجـاف يديك...حينهـا اسـتأذنت الخادمـة منادية لـشرب الشـاي

مع جديها في الصالون المطل على الحديقة ، المليء بالتحف التاريخية واللوحات النادرة التي ورثها السير تشارلز من جده هاري،، وصور عائلية فوق الموقد، أغلبها له ولزوجته سكارليت، تتوسطه طاولة خشبية عتيقة محاطة بكراسي مريحة بالصوف الأحمر الهندي،،كان منزلا دافئا يقتصر فيه الحب ويختصر فيه الوقت....

١٩٢٩ لندن

بينما كان ألبرت ميركايل يسقى الزهر في حديقة منزل ال داوسن، جاء موزع البريد ليوصل الرسائل كعادته، ذهب بسرعه اليه وسأله من اين البريد، فرد عليه انهم ثلاث رسائل، فقال لاتضعها في الصندوق ناولني اياها فأنا بستاني السيد ويليام وامينه، نظر اليه الرجل بتردد، ثم قال ألبرت الا ترى انني اعمل هنا إذن مالذي يجعلك ترفض، فقال الرجل انا مجرد عامل واخاف أن اخسر مهنتي، طمانه ألبرت وقال، حسنا ساتحمل انا المسؤولية هيا اعطيني فورا، ناول موزع البريد البرت تلك الرسائل وغادر بسرعه راكبا دراجته، حينها اخذ ألبرت الرسائل موزعا انظاره يمينا ويسارا بحذر واختبا برهة خلف الشجرة، وجد رسالتين للكونت ويليام، وأخرى تحت اسم فريدوم سترونغ هوب، مبعوثة اليه، أبتسم وخباها داخل حذائه البلاستيكي الأسود و دخل بعدها الحديقة ليواصل عمله،،كانت شارلوت في هذه الأثناء تطل من نافذة الغرفة، لاحظت تصرف ألبرت المثير للشك، من طريقة دخوله المنزل ،،بعدها جلست تقرأ كتابها المقدس وكان شيئا لم يحدث، كانت ليدي مع حملها ويلي في المطبخ مع سيدة الخدم، زوجة البستاني البرت،وهي كلير، صديقه امها روز، وأمنية اسرارها،، والصدر الحنون لها هي وأختها شارلوت، فهي من امنتها روز على بناتها أثناء رحيلها عنهم، كانت تداعب الحمل فوق المائدة المليئة بالخضروات والبيض والفاكهة،،وديك رومي للطبخ، كانت معهم مساعدتين للخدم ميراي وبريجيت، إحداهما خطيبة سائق سيارة الكونت ويليام الخاص، والثانية صديقة شارلوت و امينتها، كانت فتاة تحلم دائما بلقاء فارس احلامها ،اذ كثيرا ما كانت تكتم مشاعرها التي كانت تفضح غرامها الكبير...لهذا الرجل الغامض....

كان بيت ال بلير داوسن حيويا لكن لم يكن هناك طعم للسعادة وذلك للفراغ الذي تركته روز ،وكانه فقد الوانه، وكان الضحك مرسوم فقط ليحجب ذلك الحزن العميق الذي يتعب قلبهم،،، كان السائق جاك ايبريدج يمثل دور المهرج حين يجول الصمت فجاة، ليرفه عليهم وعلى الصغيرة ليدي...

في هذه الأثناء طلبت كلير من ميراي خطيبة جاك ان تحضر شيئا مميزا من الحلويات من تلك التي تشتهيها ليدي دائما، حلوة الفراولة وهي نفسها التي كانت تحبها روز،، إذ ان ليدي ورثت الكثير من امها تصرفاتها العفوية، جمالها إلى جانب حبها للكتابة والرسم، فيما ان شارلوت كانت متدينة ، جدية وقليلة التبسم وتداوم الذهاب للكنيسة ،لم تكن تطمح لشيئ في الحياة ، تحب البقاء بالمنزل او دير الاب ..كريس ووليفري.....صديق ويليام ،،أحيانا تقول لوالدها انها ترغب بان تكون راهبة أو ممرضة متطوعة...هذا ما كان يغضب الكونت ويليام ويرفض طلبها رغم الحاحها الدائم....وقولها ساهب روحي للرب وللناس، فأنا خلقت لاكون كذلك...كانت شارلوت

جميلة بعينان حزينة تعاتب والدتها من الحين الآخر أمام اللوحة رسمت لها معلقة بين مطلع أدراج المنزل ، لوحة مختومة باسم براندي ليتل... إذ أن هذه الأخيرة اشتهرت وكانت سببا في اكتشاف موهبته كفنان في جميع أنحاء أوروبا إذ بيعت منها عدة نسخ...كانت صورة لروز حاملة ارنبا ورسالة، إلى جانب بعض الغموض في خلفيتها،

كانت النسخة الأصلية هي المعلقة بمنزل ال داوسن تزيده هيبة ورقي،،، احضرتها روز يومها كهدية أثناء تواجدها بايرلندا...اذ انها كانت الاحب إلى قلبها من بين باقي لوحات التي رسمت لها ...

١٩١٧ ايرلندا

كانت روز تشرب الشاي والليمون الساخن مع جديها في هدوء تام شاردة الدهن، حتى ان جدتها نادتها عدة مرات ولم ترد،،، اخدت جرس المائدة وحركته جانب اذنها حتى قفزت من سهوها المفاجئ ...قالت نعم جدتي هل نستطيع ان نؤجل الذهاب للسوق ا فانا لدي شيئا يجب أن أقوم به فورا ،،،وافقت الجدة وهزت راسها صامتة ثم قالت حسنا عزيزتي لم تشتاقي لنا هذه المرة،،،ابتسمت روز وقامت بتقبيلها ودغدغتها،،،طبعا فانتي روحي يا جدتي العزيزة،،،لكن اعدك بالذهاب هذا المساء قبلت السير تشارلز في يديه وقالت ...انا الان ساغادر اراكم لاحقا...ذهبت روز ولبست معطفها الصوفي ووضعت قبعتها البنية ومظلتها، أثناء خروجها طلب منها سائق العربة ان يوصلها فرفضت .قالت افضل الركض تحت هذا المطر،،،ذهبت روز للحقل باحثة عن جيرارد في طريقها أخذت بعض البرتقال في سلتها الصغيرة ....في هذا الوقت لمحت سترونغ يركض نحوها وقفز عليها فرحا اذ احبها حقا وجيرالد ينادي عليه من بعيد ،،،لقد سبقتني بمغازلتها،،،لما وصل إليها قال كنت اتيا اليك فلم استطع الصبر أريد أن اعرفك على امي،،،قالت مندهشة امك قال امي بالدير قصدي،،،كوليت ربنوا ...ذهب جيرارد مع روز وسترونغ يتبادلا أطراف الحديث إلى أن وصل إلى الدير ،،،وجد حينها ذلك الصغير برتقالي الشعر جالسا في احد الكراسي حاملة ورقة و يرسم ،،،فرح جيرارد جدا وقال أهلا يا ابني الصغير الوسيم ،،،الآن سنتعارف حقا ،أبتسم الصغير مجعد الشعر واخد ينظر إلى روز ،،،وكان الفرح والأمل والامان اراحو قلبه فجأة،،،قال مباشرة تاركا وجهه العابس انا براندي سام ،،واريد من هذه الفاكهة التي تشبهني إلى حد ما، ضحك ثلاثتهم ،ثم قالت روز ما اجملك أيها الصغير براندي،،، إذن من الآن وصاعدا ساطلق عليك اسم ليتل براندي، فقال جيرارد اووه لابد انني لست الوحيد الذي سحرته باريلندا...

لندن ١٩١٧

كان الكولونيل ريتشارد داوني في مكتبه بلندن ، واضعا إحدى خرائطه العسكرية منحنيا على طاولته الواسعة،سيجارته في طرف شفاهه، يحرك نظاراته كل برهة،،،حاملا قلما يحدد به خططه الاستراتيجية، طرق الباب حينها واستاذن الكونت ويليام بالدخول بعد ان نادى عليه، صمت الكولونيل لحظات في ما اربك ويليام واثار فيه بعض الخوف، حينها قال له: ،،،اذهب وأحضر روز ،،،حاليا لن احتاجك، رد عليه ويليام باستغراب ...بكلام متقاطع ،،،ومنذ متى اجبرها على

المجيئ أثناء تواجدها بايرندا، عدا ذلك، انت تعرف جيدا اكثر مني تعلقها بجديها،،إلى جانب ذلك لم يمضي على رحيلها الكثير، هي ستشتاقك مثل عادتها وتعود بسرعة وتفاجئك بقبلة سيدي ريتشارد،،،واصل الكولونيل سكوته ورفع نظره بجدية نحوه رافعا إحدى حاجبيه،،،وماسكا طرف شاربه،،لم تسمع ماقلت ياويليام،،، الست انت من يحتسي الخمر كل ليلة بالخانة ذاكرا اسمها امام الملا، يالك من مستهتر،،،انا اقول هذا من اجلك انت،،،فانت اكثر من يحتاجها، اعرف انها لم تحبك يوما ولاتكن لك المشاعر و..... ثم صمت ،فقال ويليام أكمل يا سيدي هل تندم لانك زوجتني اياها فانت لا تترك فرصة الا وذكرتني بذلك، بندمك باستصغارك لي، فقط لأنك كنت تدين لوالدي واسمي له مركز بكل اوروبا، أليس كذلك، انت تريدها هنا من اجلك انت، لأنك تخاف من كلام الناس، النبلاء منهم وحتى العامة،،لقد جعلتني اعيش حياتا كالظل وارى مغازلات الرجال لها وداخلي يتمزق، ،،،قال له ريتشارد،،، انت من أراد ذلك، لاتلم احدا غير نفسك فجنونك بها جعلك تهمش نفسك في حياتها،،،أحيانا أراك احمقا، بعد كل هذه السنوات لم تستطع كسب حبها،،،فلا تلمني على ذلك ،،أحيانا لا ينفع ان تستثمر كل ذهائك في السياسة،،،الم تسأل نفسك يوما لما لم تحبك....قال كيف ستحبني اذا كانت تعيش معك،، أي زواج هذا حتى انني ارى انها لا تشتاق لابننها هاري و شارلوت ....الا تعلم كيف اشعر، هي تحب الناس، الغرباء، ،،،و تكرهني تماما كما تكره هذه الحرب،،، ،،إذا لم يكن هناك شيء مهم ساستاذنك ...غادر ويليام بحزن وبدموع تملأ عينيه، وخصلات شعره تسقط على وجهه مطئكئا رأسه اغلق الباب وتنهد ثم مشى بعض الخطوات ماسكا قلبه انفجر حينها باكيا، ثم تنهد مرة أخرى ماسحا بمنديل عليه اول حرفين اسمها...R,D

(كان هاري في الرابعه و شارلوت في الثالثه)

ايرلندا ١٩١٧

طلب جيرارد الإذن من الدير ليقوم بفسحة مع براندي، ووافقو على ذلك شرط ان يعود به قبل الخامسة،،، كانت الساعه حينها تشير إلى الثانية عشر صباحا، أخذه وذهبوا ثلاثهم ليتنزهو، قال جيرارد لدي خطة جميلة ،مارايكم ان نذهب عند صديقي البرت، فهو بارع في الصيد، تحمس الصغير براندي كثيرا وقال ياي رائع، كم اود ذلك، قام جيرارد بوضعه على كتفيه العريضتين، ماسكا رجليه الصغيرتين بيديه، حينها اخذ منه براندي القبعه ووضعها على راسه حتى اختفت عينيه،،،طلب جيرارد من روز ان تغني لهم اغنية كالتي غنتها لهوب، خجلت روز وقال حينها براندي غني هياا ارجوك، ثم من يكون هوب، قالت له ضاحكة هو ارنب صغير قمت باسعافه وانا اتجول،،،ساعرفك عليه عزيزي.

، في هدوء تام يسمع فيه فقط آثار أقدامهم مع رياح خفيفة وأوراق تحوم في الهواء كالطيور،،،غنت روز اغنية بصوتها البلبلي الساحر ،،كناي اوقف الضجيج، ليلهم الطبيعة،، لتوقف الوقت...

ازهر الربيع، تعانق الغصن، ابشر يا طير وعد لشجرك، انسى الحزن،ستنتهي الحرب، وعد،

لنرسم الجنة، ولنعلن الحب ...،وبدؤو يرددون معها الأغنية تدريجيا كل مسافة الطريق إلى ان وصلو للحقل، طلب جيرارد من روز ان تنتظره هي ووبراندي على جدع شجرة مكسور على الأرض كمقعد خشبي طويل بينما ينادي على البرت،،لما وصل للسياج تفاجأ بالسيد هوغ، صاحب الحقل،الذي نادرا ما يأتي إلى هناك لانه رجل غني وسكير ،،،يقضي حياته في الحانات مع اصدقائه من تجار ايرلندا وبعض المومسات اللاتي ترافقنه دائما،،، كان رجلا بشع المظهر، يغطي الشعر جسده، ذوحاجبين متوازيين، وبطن بارز، يحكها بين حين وآخر، يلقبونه بالوحش..كان حاملا قنينة شراب بيد وفاس بيد ثانية، قال اووووو انت هنا اذن أيها الوسيم، هل نسيت انك تعمل هنا والأرض تحتاج إلى الحرث، هيا اذهب إلى عملك قبل ان ترجع للجيش، ، فانا أريد إنتاجا وافرا هذه السنة فلا تتكاسل أيها الغبي،، افهمت .نظر اليه جيرارد وقال،،لا تثير غضبي وإلا لكمتك أيها العجوز ،،،حينها استفزه وقال له، إذا طردتك لن يشغلك أحد فكل أرباب العمل هم من معارفي لا تتجرأ على إثارة أعصابي وإلا محوتك،،،حينها انقض عليه جيرارد بلكمات متواصلة وأسقطه أرضا ماسكا بطرف قميصه حتى برز ت خداه ، بل انت لا تستفزني والا قتلتك فانت تعلم انه ليس لدي ماخسر، في تلك اللحظات جاء البرت راكضا مع ابيه ومجموعة من الفلاحين وفك السيد هوغ من ايدي جيرارد بصعوبة حتى كاد أن يختقه،، ،،، نظر اليه هوغ مهددا ستدفع الثمن أيها الصغير الفاشل...لنرى، عندها سمعت روز وبراندي أصوات الشجار من بعيد وأتو مسرعين، حينها كان البرت يقوم بتهدئة جيرارد ،،، وهوغ يبتعد تدريجيا مواصلا تهديداته ، حضنت روز جيرارد بقوة، حينها انبهر البرت واخد ينظر اليها بابتسامة خلف ظهرها مشيرا إلى جيرارد بيديه من شدة إعجابه بالفتاة، فجأة لاحظ جيرارد غياب ليتل،،، براندي ،، براندي براندي لكن أين براندي، أين هو ...انصدمت روز وقالت لقد كان معي الآن، وصمتت مصدومة واضعة يدها على فمها...هيا لابد انه لم يبتعد، جاء سترونغ حينها ينبح بقوة وكأنه يشير لهم إلى أي اتجاه ذهب، اخدو ثاثتهم ينادونه بصوت عالي جدا، إلى أن لمحوه مختبئا خلف شجر البلوط، واضعا راسه بين رجليه يرتجف، يهز جسمه ويبكي بصوت منخفض، والخوف ظاهر عليه كمن رأى شبحا،، أسرعوا اليه مباشرة، وسألوه مابك عزيزي لماذا فعلت ذلك، ماذا هناك....نظر إليهم، انا خائف انا خائف سيقتلني، انه ، انه هو من اعتدى على منزلنا في غياب أبي مع مجموعه من الصعاليك ،،،لقد حاولت الهرب منه بصعوبة إلى أن وقعت في حفرة ليومين تسببت بجروحي هذه...عندها وجدوني و احضروني للدير... ساعدني يا أبي جيرارد الم تقول انك أبي ذلك اليوم...صمتو كلهم والصدمة تأكلهم إلى ان نزلت روز على ركبتيها وعانقته بشدة....يكمل...وضع جيرارد الصغير براندي بحضنه واغلق عليه بين يديه، طمانه، وقال له هو كذلك، من الآن وصاعدا ليس عليك ان تخاف من اي أحد، واخذ يقبله على خديه الباردتين المليئة بالنمش، دفعه بشدة إلى قلبه،،و كان شيئا من الانتقام انبت في روحه بركانا من الغضبا، وبعينان كان الدمع يهتز فيها، لذى رؤيته للحزن والأسى اللذان تسبب الوحش هوغ بها للصغير ليتل...مسكت روز حينها بجيرالد وحضنته هو وبراندي، فجأة صرخ البرت مازحا بغية منه ليغير الجو الحزين الذي ساد حينها،، هياااااااا للصيد، نحن جاهزون، انا احتاج للمساعدة منك يا صديقي براندي القوي، لاحضار الأدوات اللازمة من الكوخ، استدار الطفل فجاة ماسحا عينيه بحماس وكان شيئا لم يحدث، أنزله جيرارد وركض نحو البرت ميركايل اااااي هيا هيا ولكن

سوف تعلمني كيفية الصيد!! أليس كذلك رد عليه البرت : اكيد فانا متأكد انك ستتفوق علي ...هيا اولا لنركض وترى من يصل للكوخ اولا ....ركض البرت وضل براندب في مكانه، ثم التفت اليه وقال هيا هيا، قال حينها براندي كيف لي ان اسابقك اذا كنت لا اعرف أين يقع الكوخ ..ضحكو اربعتهم وقالو له يالك من طفل ذكي وفطن هههههه...غادر البرت وبراندي وطلب من جيرالد وروز ان يسبقانهم للبراري حيث يكثر الصيد بين ضفتي النهر ،،،كانت روز تبتسم وتنظر إلى جيرارد الذي لم يستطع حجب غضبه رغم ضحكه المزيف امام براندي،،،قالت حاول ان تهدأ قليلا عزيزي، على الأقل إلى ان نوصل الصغير للدير ...مساءا،ظل صامتا لمدة ثم قال حسنا حسنا،،،انا متأسف حقا يا أميرتي، لم اشا ان يحدث ذلك فانت أتيت لإيرلندا لترتاحي و تستغلين الوقت مع جديك..ثم ظهرت لك مثل الغبي وافسدت رحلتك...اوقفته روز نظرت إليه وقبلته ارتجف فجأة وخرج ذلك الحزن من أنفه بتنهدات كانت تركن بقلبه لمدة، ضمها اليه وقال لها لا اريد ان اخسرك بعد ان خسرت كل شيئ في حياتي ،انت وبراندي الان عائلتي الوحيدة ....حينها سكتت روز وتجمد الدم في وجهها امتزج فيه الخوف والقلق لأنها لم تصارح جيرارد بحقيقة زوجها وابنيها، كان هناك انفصاماسلام في شخصيتها، كأنها لا تنتمي لهم رغم رقة قلبها وجمال روحها...

لندن ١٩١٧

كان الكونت ويليام بلير داوسن في هذه الأثناء يتأهب للسفر لايرلندا وإحضار روز بطلب من والدها الكولونيال ريتشارد داوني...متانقا كعادته إذ انه كان يبعث بطلب مصمم الأزياء الخاص بالنبلاء و الأثرياء .... كان ايطاليا يعرف باسم بيبورينو ويملك سلسلة متاجر بلندن ....كثير الضحك والمزاح لدرجة تستفز الكونت الذي كان طبعه السكون والهدوء إذ يستطيع اسكاته بنظرة ثابتة بجانب عينيه تربك المصمم الفضولي.... كانت العربة تنتظر بالخارج في جو ضبابي كما يعرف في لندن، ودخان يخرج من أفواه المارة كسجائر، محلات بغلقة تظهر السلع منها من الزجاج إلى جانب رائحة الخبز والكعك التي تغمر الانفاس...ركب ويليام العربة واضعا قبعته وقفازيه وجلس مستويا وقال لنذهب لايرلندا لكن قبل ذلك يجب علينا أن نمر بمحل الأزهار ...

ايرلندا ١٩١٧

في هذه الأثناء عاد البرت وبراندي من الكوخ محملين بأدوات الصيد ويقهقهون من الضحك، فيما كانت روز جالسة مع جيرارد على حافة النهر ،،قال البرت من يراكم يظن أننا سنصطاد السمك ،،تعالو لنتقدم للبراري لاصطياد الحجل هيا...هيا قوموا...

لقد مرت الأمسية وبدأ ت الشمس بالغروب كان يوما رائعا ومميزا إذ ان براندي استطاع ان يتعلم حمل بندقية الصيد من البرت، جمعهم ذلك الجو العائلي، الذي كان يفتقرون له وكأن القدر أراد لهم ان يكونو اجمل عائلة الواحد منهم سندا للثاني...في طريق العودة غلب النعاس على براندي، قام جيرارد بأخذه من حضن البرت الذي غادر ليلحق بالحقل، لما وصلو، طلب جيرارد من الام كوليت الاذن بوضع الطفل في سريره،،، هزت رأسها موافقة وانتظرته هي وروز، استغلت كوليت ذهابه، واستفردت بروز، قالت: انت تبدين امراة طيبة وخلوقة لكن لن

اسامحك اذا احزنت جيرارد، فهو بمثابة ولد لم انجبه...لا اريد ان يفقد البريق الذي رايته في عينيه لأول مرة في حياتي....طلطات روز رأسها صامتة،،،انا في بيت الرب صدقيني ليس لي نية في ذلك ولكن الظروف تتحكم بالمرء احيانا ...نظرت إليها كوليت بفضول وكان هناك رسالة بعيني روز منعتها من الحديث ،ثم طلبت منها ان تصارحها ،،،ماذا تخفين عزيزتي اذا كان هناك شيء استطيع المساعدة من الآن قبل ان يتطور الوضع بينك وبين صغيري جيرارد ،،،تنهدت روز وقالت انا، انا... حينها عاد جيرارد من غرفة براندي في تلك اللحظة وقطع حديثهما وقال لابد ان اوصلك للبيت عزيزتي سوف يانباني جديك...وغادرا ،،،والام تنظر إليها بنظرات ثابتة كأنها تريد التأكد من هي روز وماهي تلك الأسرار ....

كان طريق العودة يسوده السكون ،،إذ أن روز لم تنطق بكلمة واحدة منذ مغادرتها الدير، وجيرارد يفكر هو الثاني في طريقة للانتقام من هوغ و بماذا يكون قد فعل لوالد براندي لانه لم يستطع أن ينسى مذى الخوف والارتغاش اللذان رآهما من ذلك الصغير المسكين...كانت روز تمشى وتلامس سترونغ من وهلة لأخرى وهو ينظر اليها ويدور حولها كانه يحس بشيء يتعب قلبها،،،فجأة قالت جيرارد جيرارد، مرتين وهو ساهيأ يسبح في افكاره محكما على قبضة يديه بقوة كأنه بركان صامد يعجز عن الانفجار...وكان يقول في نفسه بحب يا جيرارد ان تهدا، خذ نفسا لتفكر، نعم اهدا ان تحل الامور بالغضب لكن أقسم أن ذلك المتغطرس سيدفع الثمن، لا اريد ان ارى دموع يتيم لا أستطيع لا أتحمل فإني ارى نفسي وارى كل ايتام العالم في عيناه الحزينتين... في تلك الاثناء كانت روز تنادي جيرارد مرارا وتكرارا، إلا ان نبح كلبه وهزته بقوة، مابك ماذا حل بك أخبرني،،،التفت جيرارد ونظر إلى روز نظرة وكأنه يرى عائلته فيها نعم أصبحت كوطن له ...كامل بأن الحياة أفضل وهي بجانبه كانت نظراته توحي لثقته الكبيرة فيها ...احست روز بذلك وتجمدت ونزلت دمعة كانت متحجرة في زاوية عينها اليسرى ...

عينها اليسرى، وبريقا يحوي حكايات وأسرار ..كانت ترتجف وكأن ضميرها يؤنبها لعدم إخبارها الحقيقة لحبيبها خوفا منها لفقدانه او إيذاء نفسه..قال لها جيرارد : لماذا ترتجفين؟ كأنك أخذت بردا،!! تعالي خذي معطفي الرث بالرغم من ذلك فهو صوفي جلبته منذ ست سنوات من سيبيريا ،،وضحك وعانقها وهمس في اذنها : أيتها الراقية المتواضعة كم أحبك ...انت تحملين سلام الكون في عينيك وحب يحرر كل تواريخ الحرب في احضانك، انت ملجأ لمن يبحث عن مأوى، واحتواء لمن لا وطن له او بالاحرى لمن غادر ارضه مضطرا...انت هي ذلك الجسر الذي نحتاجه لننجو من الطوفان وذلك الكهف الذي لن يهدم ولو التفت وجلست فوق اكتافه الجبال، انت القوة التي احتاجها لاعيش والأنوثة والضعف الذي ارغب بحمايته ...انفجرت روز باكية بكاءا هستيريا، بعد صمتها طويلا، جلست على ركبتيها وبيديها عانقت جيرارد من خصره وضمته اليها، كان جيرارد مصدوما من طريقة بكائها وسترونغ يلعق ظهرها ويصدر صوتا وكأنه يبكي معها ..اخذها جيرارد بقوة بين يديه ممسكا جانب ذراعيها حتى برزت عروقه... وقال لها ماذا بك من الذي احزنك ماذا هناك اخبريني الآن مابك هل انا هو السبب هل حديثي ازعجك او ماذا هل قلت شيئا هل أخطأت معك حبيبتي ...قالت كلمات متقاطعة الحروف تسمع وتختفي بين انفاسها

المتتاليـه وكأنهـا تختنـق... وحنجـرة تهتـز كمـوج لا يسـكن..عانقها جـيرارد بقـوة وقـال لهـا ارتاحـي الآن سـاوصلك للبيت،،حسـنا ارتاحـي قـدر مـا تشـائين في غرفتـك ... إذا كان هـذا سـيهدئك.. لكـن سـابقى انتظـرك بجانـب تمثـال الجـد هـاري وقسـما لـن أغـادر حتـى تخبريني مـن الـذي تسـبب بحزنـك هـذا... ومـاذا تخفـين عني...ثـم حملهـا واخذهـا في تلـك الأحيـان كان الجـدان السـير تشـارلز والسـيدة سـكارليت جالسـان في فنـاء المنـزل الخشـبي الـذي يطـل عـلى المدخـل وراو جـيرارد مـن بعيـد وروز بـين ذراعيـه، اسرعـو راكضـين نحوهـم .يصرخـون رووووووز مابـك صغـيرتي...روز روز...هدأهـم جـيرارد قائـلا : اسـف يـا سـيداي ليـس هنـاك شـيى فقـط أن صديقتـي روز احسـت بتعـب واردت حملهـا أنهـا حساسـة زيـادة عـن اللزوم...رغبـة منـه ليخفـف عنهـا وعنهم...نظـرت اليـه روز بعـد أن جـف دمعهـا ونزلـت وعانقـت جديهـا بسرعـة وركضـت نحـو المنـزل مباشرة حتـى أنهـا مـرت عـلى كلـير مـن غـير ان تلاحظهـا.. كانـت هـذه الأخـيرة حاملـة لطبـق الشـاي والفسـتق...لجديها .. إذ انهـا لم تتفـوه بكلمـة واحـدة مـما زرع نوعـا مـن الشـك وعـدم الارتيـاح مـن الجديـن مـن ناحيـة جـيرارد ...نظـرو اليـه باسـتغراب وسـأله الجد تشـارلز بجديـة واقـترب منـه حتـى كاد أن يلامـس وجهـه... احـذر ثـم احـذر ليـس لـدي مشـكلة مـع طبقـات المجتمـع ولسـت ضـد الانـاس الفقـراء ولا احـب ان اكون...لكـن اذا اذيـت طفلتـي او انـك سـببا في حزنهـا هـذا سـأضع طيبتـي فـوق رف واقتلـك...لم يقـل جـيرارد كلمـة واحـدة ...وبقـي سـاكنا والمطـر يتسـاقط ويبلـل قميصـه الأبيـض تدريجيـا إلى أن ظهـر جسـمه كلوحـة زيتيـة وخصـال شـعره التـي كانـت تخفـي عينـاه الحزينـة الباكيـة المتفاجئة...نظـر لنافـذة روز مسـتغربا مـا حـدث كأنـه لم يسـتوعب مـا حصـل ... واخـد يحاسـب نفسـه ويقـول لمـاذا لما..لما هكـذا لمـاذا ولـدت لمـاذا وجـدت في هـذا العـالم الـن اسـتحق الحـب، نعـم اسـتفق يـا غبـي، لا تحلـم، لـن تلامـس النجـوم،،، ابـق رجليـك عـلى الارض...ثـم يقـول: انـا ومـن مثـلي أسـلحة ولسـنا بـشر نحـن مـن يحتاجنـا العـالم ليتحـرر ليعيـش ليقاتلـو بنـا مـن كانـو سـببا في هـذه الحـرب.. فهنـاك مـن يحيـا ليعيـش وهنـاك مـن يعيـش ليمـوت برغبـة غـيره او برغبتـه مهـما عشـق الحيـاة،،، نحـن مـن نضحـي نحـن الفاصـل بـين الحـرب والحريـة .نحـن ذرع هـذا الوطـن وتضحياتـه فمنهـم مـن سـيذكر اسـمنا ومنهـم مـن سـينسى فضلنا..مـع ذلـك سـأذهب....لكن لـن أغـادر الا عـلى جثتـي..... ولـن ابـرح مـكاني حتـى اعـرف مـا لأمـر الـذي تخفيـه عنـي ....

لحقـت كلـير والجـدة سـكارليت بـروز إلى غرفتهـا التـي اغلقتهـا ثـلاث مـرات بالمفتـاح .اخـدت تبـكي بقـوة ووجهـا بـين وسـادتيها الورديـة بـدأت كلـير بالبـكاء معهـا خلـف البـاب سـائلة مـن الـذي اصابهـا فجأة...قائلـة هـل أحـضر الشـاي المهـدئ هـل اسـتطيع الدخـول سـابقى صامتـة أعـدك بذلـك... وجدتهـا تبـكي وتمسـح عيناهـا بمنديلهـا القطنـي وتنظـر لكلـير وتقـول هـل تعرفين شـيئا كلـير انـت امينتها وصديقتها...رفضـت روز الـرد عليهـما عـلى الرغـم مـن الخاحهـما وخرجـت فجـأة فاتحـة البـاب عـلى مصراعيـه،،، سـاغادر سـأعود للندن...مـما تـرك الجـدة سـكارليت وكلـير في دهشـة مـن امرهـم ...في تلـك الأحيـان كان جـيرارد جالسـا جنـب تمثـال الجـد هـاري الحامـل للرسـالة الغريبة...والمطـر يـزداد بقـوة وسـترونع بجانبـه يرتعـش مـن شـدة البـرد ...دخـل الجـد تشـارلز لمكتبـه الـذي كان يطـل عـلى جانـب الحديقـة الخلفيـة والنافـذة الرئيسـية عـلى تمثـال جـده هـاري... اخـد ينظـر إلى جـيرارد باسـتغراب وكأنـه لاحـظ حقيقـة حبـه لـروز ، مـن رجولتـه ومصداقيته..بـرز في عينـاه شيء مـن النـدم عـلى مـا تفـوه بـه

قبـل ذلـك بلحظات...طـرق بطـرف عـكازه عـلى زجـاج النافـذة وأشـار لجـيرارد بالدخـول لمكتبه...عـوض بقائـه تحـت شـدة الامطـار ....

لندن ١٩٢٩

في الصبـاح الباكـر تمامـا عـلى السـاعة السادسـة والنصـف كانـت العائلـة بلـير داوسـن تتاهـب للذهـاب الى الكنيسـة بدعـوة مـن الاب كريـس وليفـري صديـق الكونـت ويليام...ارتـدت شـارلوت بدلـة الراهبـات حاملـة صليبـا بسلسـلة تتـدلى بـين مقابـض يديهـا ... مـما اسـتفز والدهـا الكونـت كثـيرا وطلب منهـا تغييرهـا فورا...قائـلا لـن اقبـل هـذا السـلوك في بيتي...انـا اذهـب لبيـت الـرب لكـن هـذا لا يعنـي ان تتحـولي إلى راهبـة ....طلـب مـن بريجيـت التـي كانـت تحمـل اطبـاق الفطـور، أن تضعهـا وتذهـب لمسـاعدتها كي لا يتاخـرو عـن القـداس ...ذهـب متوجهـا إلى العربـة وهـو يـصرخ ««الـكل يتـصرف عـلى حـداه ،،يفعـل.... لابـد ان لا كلمـة لي في هـذا البيـت «» ...كانـت ليـدي تقبـل الحمـل ويـلي عنـد مخـرج البـاب برفقـة البسـتاني ألـبرت ثـم طلبـت منـه أن يهتـم بـه مثلـما فعـل مـع هـوب ارنـب والدتهـا روز قديما...قـال لهـا فجـأة...: أتعلمـين يـا صغـيرتي ان ويـلي يحمـل في عينـاه نفـس البراءة التـي كانـت بعينـي هـوب»»»»»

. ..مـرت ثـلاث دقايـق تقريبـا والجميـع بانتظـار شـارلوت...داخل العربـة... لكـن سرعـان مـا سـمعو صـوت بريجيـت مـن نافـذة الغرفـة وهـي تـصرخ سـيدي سـيدي لقـد اغمـي عـلى شـارلوت ...ركـض الجميـع إلى غرفتها.فوجدوهـا في أحضـان كلـير تـرش عـلى وجههـا

المـاء مـن أصابـع يديهـا وتمسـح عـلى شـعرها: حبيبتـي اسـتيقظي يـا طفلتي....طلـب الكونـت مـن جـاك السـائق أن يتصـل بالطبيـب دافيـد ليـسرز فورا...وهـو بـالاب كريـس ليخـبره بعـدم الحضـور إلى القـداس..

كان الضبـاب ينـشر سـتائره ويحجـب الانظـار في أواخـر نوفمـبر ١٩٢٩ ...والـكل صامـت خـارج غرفـة العـلاج بالمستشـفى وعـلى ملامحهـم الحـزن والصدمـة ...كانـت ليـدي تضـع رأسـها عـلى حضـن عرابتهـا كلـير وتبـكي ...وتـردد يـارب اشـفي أختـى اشـفها أنهـا مـلاكي وهديـة امـي لي ...

مـرت سـاعة وبعـض الدقائـق والطبيـب داخـل الغرفـة مـما سـبب نوعـا مـن الارتبـاك وعـدم الاطمئنـان ...قـام الاب ويليـام وطـرق البـاب دافيـد أسـمح لي بالدخـول لـن انتظـر خارجا...مابهـا ابنتـي ...خـرج الطبيـب فجـأة وطلـب مـن الجميـع السـكون والصـبر لأن حالـة كلـير تتطلـب منهـا ملازمـة السريـر بالمستشـفى لأنهـا دخلـت في غيبوبـة ...انصـدم الجميـع حينهـا وبـدأت ليـدي بالبـكاء ماسـكة بمئـزر الطبيـب دافيد...سـيدي مابهـا أختـى مـاذا حـل بهـا هـل لأننـي لم اهتـم بهـا مؤخـرا الهـذا السـبب ؟؟طلـب ويليـام مـن السـائق جـاك ان ياخـد ليـدي وكلـير إلى المنـزل وهـو ينظـر إلى الطبيـب سـاكنا في مكانـه ...رفضـت الصغـيرة المغـادرة قبـل ان تطمـئن عـلى صحـة شـارلوت... قـام الكونـت ويليـام بتقبيلهـا عـلى راحـة يديهـا الصغـيرة ..واعـدا لهـا أن شـارلوت سـتكون بخـير....

(بعد مرور ثلاث اشهر ، فبراير ١٩٣٠)...

مـرت ثـلاث اشـهر عـلى بقـاء شـارلوت في المستشـفى ...بعـد اصابتهـا بمـرض أدخلهـا في غيبوبـة.... اذ ان الـكل كان بجانبهـا يؤنسـها ويـروي لهـا قصصـا ،،،رسـائل شـفوية تتغنـى بالحـب وتمنـح إحساسـها الاشـعوري نبضـا يخفـف عنهـا المـرض...كان الكونـت ويليـام يقبلهـا عـلى جبينهـا ..ويهمـس في اذنهـا بـكلام غريـب عندمـا ينفـرد بهـا : فقـط اسـتيقظي لا اطلـب شـيئا مـن الـرب سـوى أن تكـوني بخـير واعـدك ان اوصلـك للديـر بنفسـي لتصبحـي راهبـة ..أعـدك بشرفي....فأنـت اغـلى مالـدي انتـي وهـاري .... كانـت شـارلوت في داخلهـا تسـمع كلـمات والدهـا المتكـررة بأنهـا اغـلى مالديـه هـي وهـاري .... احسـت شـارلوت بـردة فعـل كأنهـا تحلـم او أنهـا في هاويـة تعجـز عـن الخـروج منهـا، لكـن تلـك الكلـمات التـي سـمعتها مـن شـفاه الكونـت جعلتهـا تحـرك طـرف حاجبهـا مـرة لأن والدهـا لم يذكـر اسـم ليـدي مطلقـا...

مـع مـرور الوقـت ....كان منـزل ال داوسـن يخيبـه الصمـت وكأن كل شيء توقـف عـن الحـراك ... أصبـح كمقـبرة فجـأة الـكل ينتظـر أن تتحسـن صحـة شـارلوت وتعـم الفرحـة وتحيـا الزهـور وترسـم الابتسـامات...

في يـوم مـن الأيـام بينـما الـكل جالـس عـلى مائـدة الطعـام رن الهاتـف مـن الصالـون المجـاور لغرفـة الطعـام ...فجـأة أتـت كلـير مسرعـة اتصـال لـك سـيدي انـه الطبيـب دافيـد... التـف الجميـع حـول الكونـت ....سـيد ويليـام لقـد افاقـت شـارلوت لقـد افاقـت...

ايرلندا ١٩١٧

ذهـب سـائق السـير تشـارلز مسرعـا ليفتـح البـاب الخارجـي لمدخـل المنـزل ...كانـت عربـة الكونـت ويليـام تبعـث أصـوات مـن عجلاتهـا المطاطيـة الكبـيرة التـي كلـما اقتربـت اوقفـت انفـاس روز... كأن الزمـان توقـف في تلـك اللحظة...خـرج سـترونغ مسرعـا نحـو الكونـت .بـدأ بالنبـاح بهسـتيرية كأنـه رأى شـبحا حتـى أن جـيرارد تعجـب لأمـره ونـاداه لكـن مـن دون جدوى...كانـت روز ترتجـف، تجمـد الـدم في عروقهـا، جلسـت عـلى زاويـة سريرهـا مطأطئـة رأسـها. وتقول...»»يجـب ان تكـوني قويـة كالفـولاذ يـاروز داوني هـذا ماعلمـك اياه والـدك»»» ...أفضـل ان اؤدي نفسـي. ان اشرب مـن كأس سـم سـكبته لنفسـي ...بيـدي... يجـب أن يعـرف جـيرارد ...مـن هـي روز التـي احبهـا مـن اول نظرة..يجـب ان يغـير نظـرة الثقـة التـي رأيتهـا في عينيـه اليـوم..

نـزل الكونـت ويليـام مـن العربـة متوجهـا إلى باحـة المنـزل ويقـول لمـن هـذا الكلـب اللعـين طالبـا مـن السـائق ان يبعـده والا أطلـق عليـه النـار ...في تلـك اللحظـة بالـذات خـرج السـير تشـارلز ليتسـقبل ويليـام (لم يحـب السـير تشـارلز وجـود ويليـام في حيـاة روز لانـه يعلـم أنهـا تعيسـة بجانبـه لسـنوات) لكـن قبـل ذلـك طلـب مـن جـيرارد عـدم الخـروج مـن المكتبـة الا باذنـه واعيـا ومترقبـا لخطـورة الموقـف وتجنبـا لاي مواجهـات بـين رجـلي حـرب عاشـقان لنفـس المـرأة...

كان جـيرارد في تلـك اللحظـة ينظـر مـن خلـف النافـذة ظنـا ان هـذا الرجـل صديـق للعائلـة لا أكـثر... مـن غـير اي نظـرة توحـي بشـك نحـوه ...طلبـت روز مـن كلـير أن تحـضر لهـا اجمـل فسـاتينها وتسـاعدها عـلى التانـق مـما وضـع كلـير في حـيرة مـن ردة فعلهـا وبـرودة أعصابهـا المفاجئـة ...توقفـت كالصنـم حتـى

أن روز طلبت منها ذلك مرة ثانية بطريقة جدية ...ذهبت كلير مسرعة لتحضر ماطلبته روز وهي تقول في نفسها يارب لا استطيع ان اتخيل ماذا سيحصل هل تراها لعنة ...يارب ...

كان السير تشارلز واقفا أمام العربة مع ويليام طلب منه أن يوصله لمكان خاص للتحدث في موضوع مهم حتى انه لم يطلب منه الدخول بعد السفر ...مما أثار ريبة الكونت من غرابة أطوار الجد قائلا ماذا هناك أليس في هذا المنزل الذي هو كالقصر مكانا نستطيع التحدث فيه ..للمكتبة مثلما فعلنا دوما !!!!!

رد السير تشارلز لا يجب أن تعترض عندما أقول شيئا ....صعد السير العربة تاركا ويليام واقفا ثم قال اصعد انه امر يتعلق بروز ...قال ويليام روز مابها يا سيدي ؟؟

رات روز فجأة ان الجد غادر مع ويليام ...فنزلت بسرعة إلى الخارج لتغتنم الفرصة .... فجأة لم تجد جيرارد بجانب تمثال الجد هاري ..ثم قالت::: لكن سترونغ كان هنا!! قبل قليل !!!...وأخذت تنادي سترونغ سترونغ ....سمعت نباحه من المكتبة فرأت جيرارد ينظر اليها ويرسم في ضباب النافذة ... كلمة رسمت في عينيها الباكية فرحة وهي ««أحبك»»

ركضت اليه مسرعة وكأن الكلمة ايقظت فيها الحياة بعد ان مرت بلحظة كانت ستفقد فيها حبيبها للأبد...دخلت عليه وعانقته بشدة وقالت يجب أن نغادر فورا اريدك ان تتعرف الي حقا امنحني وقتا تجرد فيه من الحكم المسبق او الغضب... عدني انك ستسمعني إلى النهاية وبعدها قرر ...

لندن ١٩٣٠

عمت الفرحة بيت ال داوسن وطلبت كلير من الخادمتين ميراي وبريجيت تحضير الحلوى وتوزيعها على الفقراء، و وضع كمية جانبا للدير ...ذهب الاب وليدي مسرعين مع السائق جاك وابتساماتهم تمحي ملامحهم الحزينة..أخذت ليدي دمية الجنية العجوز لشارلوت لأنها دميتها المفضلة المهداة لها من أمها روز والتي كانت تتكئ عليها وتحضنها ليلا أثناء النوم ودموعها تسقى جفونها الذابلة...(كانت شارلوت تكلم دمية الجنية العجوز، تحادثها وتحاورها عندما تلوم والدتها روز على الذهاب ....وتردد يا دميتي قولي لي لماذا تركتنا امي ...من كان أفضل منا لتعيش معه.)

كان طريق المشفى طويلا بعض الشيء لأنه يقع بالعاصمة لندن التي تبعد أميالا عن منزل بلير داوسن...أخذت ليدي تغني أغنية كانت يرددها لها جدها الكولونيل. ريتشارد داوني..

««««طيري يا حمامة السلام وابعثي مرسالا وقبلا... طيري طيري بسلام وانثري ورودا وسنبلا ....»»»» وهي تراقص دمية الجنية العجوز بين يديها...تنظر إلى نافذة العربة بين الحينة و الاخرى بعينيها الواسعتين المليئتين بالحب الحياة البراءة والسعادة....

في تلك اللحظات اخذت كلير أطباق حلوى الفستق إلى الدير بينما ذهبتا الخادمتين ميراي وبريجيت إلى المدينة لتوزيعها على الفقراء ....بقي ألبرت وحده في المنزل للحظة وأخذ يفكر بشيئ

غريـب وغامـض ....ويقـول :: سـوف تدفـع الثمـن يـا ويليـام، لـن انـسى مـا فعلتـه لصديقـي واخـي جـيرارد سـترى...»»»

وصلـت كلـير لبوابـة الديـر وسـألت عـن صديقتهـا التـي كانـت تناديهـا أمـي... لقـد كانـت الأم كوليـت رونـوا التـي انتقلـت مـن ايرلنـدا إلى لنـدن بعـد ان تعرضـت لأزمـة نفسـية في الماضي...كانـت مسـنة قاربـت عـلى السـبعين...تمشي وتحمـل صـورة جـيرارد في يدهـا و وتقـول ...الـرب معـك دائمـا كان ودائمـا معـك في الحيـاة الدنيـا والجنـة ...وتـردد صلـوات ودعـوات تـكاد لا تخـرج مـن طـرفي شـفتيها... اقتربـت منهـا كلـير ثـم قالـت: أمـي انـا هنـا كلـير ....لقـد جئـت تعرفـين اننـي انتهـز كل فرصـة لاراك مـن دون ان يعلـم الكونـت والا طـردني لا اريـد الابتعـاد عـن شـارلوت وليـدي انهـم أمانـة عنـدي مـن أختـى روز...بالإضافـة إلى أن اليـوم هـو مـن أسـعد الأيـام، لقـد اسـتيقظت شـارلوت مـن الغيبوبـة...

التفـت الام كوليـت رونـوا نحـو كلـير مبتسـمة شـاكرة للـرب، طلبـت منهـا ان تذهـب وتوقـظ شـابا كان ينـام في غرفتهـا بالديـر .اتى قبـل يومـين ...اسـتغربت كلـير وقالـت مـن هـو يـا أمـي تقصديـن عابـر سـبيل ..؟ رددت كوليـت اذهبـي ولا تسـألي ....توجهـت كلـير مبـاشرة لغرفـة الام رينوا...ودقـت البـاب مـرارا ،ثـم سـمعت الشـاب يقـول : اووووف يـا أمـي مازلـت اشـعر بالنعـاس أتركينـي ...توقفـت كلـير عـن طـرق البـاب ثـم قالـت: أنـا لسـت الام ..لقـد بعثتنـي لاوقظـك متاسـفة يـا ابني...فجـأة فتـح البـاب شـابا وسـيما دو شـعر مجعـد برتقـالي نظـر اليهـا مطـولا وقـال خالتـي كلـير الشـقية ...هـل نسـيتني ...مازلـت كـما تركتك....انـا برانـدي برانـدي الصغير....لكننـي أصبحـت شـابا مفتـولا العضـلات كـما ترين وعانقهـا بشـدة...تجمدت كلـير مـن الفرحـة لدقيقيتـين فلـم تسـتوعب المفاجأة...ثـم صرخـت وعانقتـه والدمـوع ترسـم طريقـا عـلى وجنتيهـا البـاردة ....

جلسـت كلـير والام كوليـت يسـتمعان إلى مغامـرات برانـدي ...في حديقـة الديـر الواسـعة المليئـة بشـجر البلـوط، الـورود البرتقاليـة والياسـمين تصافحهـا نسـمات هـواء لنـدن البـارد ... كانـت تقـول الام في نفسـها ،صغيري برانـدي، خفيـف الظـل مثـل جـيرارد. تمامـا... ارى ابنـي في كل حركـة يقـوم بهـا.في كل نظـرة ابتسـامة، مزحة...لقـد عوضنـي الـرب فعـلا ...انـه مواسـاة لقلبـي الحزيـن...

بينـما كانـت الأم تحـادث نفسـها سرا متاملـة في برانـدي اخـذ هـو الأخـير يلمـح لهـا بيديـه ...امـي ايـن ذهبـت ابقـى معنـا لـن أسـمح لـك ان تتعـدي حـدود الديـر بأفكارك...هـاااااا ....ثـم سـأل كلـير عـن شـارلوت وليـدي ...والعـم البرت الصيـاد الفاشـل وهـو يمزح....فقالـت لـه كلـير الـكل بخـير لكـن شـارلوت كانـت بغيبوبـة يـا ابنـي وافاقـت اليوم...انـا الآن يجـب أن اذهـب اصـلا إلى المستشـفى للاطمئنـان عليهـا وتقبيلهـا ...هـل تريـد مرافقتـي لأن الكونـت ويليـام سـيغادر مـع ليـدي الآن ولـن يراك...لديـه اجتـماع. تعـرف ان انشـغالاته ومواعيـده مـع أصحـاب السـلطة والمـال أهـم مـن اي شيء. ثـم

طلبـت مـن الام كوليـت ان ترتـاح وتطمئنهـا عـن طريـق برانـدي وان لا داعـي لذهابهـا وهـي مريضـة لا تقـوى عـلى السـير...

كانـت ليـدي مسـتلقية عـلى السريـر إلى جانـب شـارلوت ، تحاورهـا هـي والجنيـة العجـوز ...وتقـول «» لقـد اشـتقنا إليـك أختـي كثـيرا وافتقدنـاك، انـت زهـرة البيـت الحنونـة نحـن نحبـك كثـيرا، لـن نسـمح

لـك ان تفعـلي ذلـك مجـددا»»» اخـذت شـارلوت ليـدي في احضانهـا وقبلتهـا بشـدة واخـذت تبـكي، وانـا ايضـا أحبـك يـا أختـى الصغـيرة الجميلـة كدميـة الميـلاد، لـن تقلقـي عـلي أعـدك بأننـي سـاكون بخـير، أعـدك بذلـك واخـذت تنظـر إلى والدهـا الكونـت بغضـب ظهـر عـلى ملامحهـا ومحـت ابتسـامتها فجـأة محدقـة في عينيه...ثـم قالـت تسـتطيع الذهـاب يـا أبي ، لقـد أصبحـت بخـير لكننـي احتـاج إلى الراحـة...

طلـب الكونـت ويليـام مـن ليـدي ان تـترك شـارلوت لتأخـذ حبـة الـدواء ...ردت ليـدي اجـل لكـن سـاترك الجنيـة العجـوز إلى جانبهـا لـكي لا تبقـى بمفردهـا فالمشـفى مخيـف ....

في تلـك اللحظـات كانـت كلـير متوجهـة هـي وبرانـدي لزيـارة شـارلوت....فأخذت تتبـادل أطـراف الحديـث وتخـبره عـن احوالـه وأحـوال هـاري لأنـه يعمـل في باريـس حيـث يقـوم هـو بزيارتـه أثنـاء معرضـه السـنوي ....

ايرلندا ١٩١٧

توقـف المطـر، وأخـذت الريـاح تطلـق انفاسـا جليديـة ، ذهبـت روز مـع جـيرارد عـلى صهـوة فريدوم، في طريـق ايرلنـدا الريفـي الضيـق، وعانقتـه بشـدة، تقبـل ظهـره تـارة وتضـع وجنتهـا تـارة أخرى...وهـو يبتسـم ويقـول ...مممممـم مـاذا سـتقولين لي ياتـرى؟؟ تعرفـين أننـي فضـولي هـاااا ؟؟ توقفـت روز عـن التبسـم فجـأة وقالـت ، هـون عليـك يـا حبيبـي خـذني إلى مـكان اقـل بـرودة بجانـب موقـد لأننـي اتجمـد بـردا ...

[ ] رد جـيرارد قائـلا اكيـد سـاخذك إلى منـزلي الصغـير الاجمـل مـن قـصرك (احـم ،احـم ، أصـدر صوتـا كأنـه زكام مازحـا) لأننـي بنيتـه بيـدي ووضعـت كل حجـر فيـه بحب...تحمسـت روز وقالـت هيـا فربـدوم انطلقـي لـنرى منـزل هـذا المغـرور المتعجـرف...

[ ] كان منـزل جـيرارد شـبيه بكـوخ يتوسـط الغابـة ، يقـع في منطقـة منعزلـة تبعـد عـن الطريـق ...نـزل هـو وروز مـن عـلى صهـوة فريـدوم، لأن أغصـان الشـجر كانـت تتـدلى وكأنهـا تصافـح الطريـق.. إذ يصعـب عـلى مـن مـر مـن هنـاك المـشي واقفـا ..اسـتغربت روز هـذا المـكان وسـألت جـيرارد : ايرلنـدا مليئـة بالمسـاحات الواسـعة، كيـف كان باسـتطاعتك بنـاء هـذا المنـزل ..انـت غريـب الأطـوار فعلا...ضحـك جـيرارد وقـال لهـا ،إنـه المـكان المفضـل لـدي ، كأني أعيـش في هـذا العـالم بمفـردي، اسـمع نسـمات الهـواء الخفيفـة و احـس براحـة شـديدة في السـكون و التأمـل ...تعمـدت انشـاءه في هاتـه الزاويـة التـي تجـردني مـن الألم والاحـزان...

[ ] في تلـك اللحظـات ذهـب سـترونغ إلى مدخـل البـاب قفـز مـن النافـذة ...وفتحـه ..تفاجـأت روز وقالـت: حقـا انتـما الاثنتـين اجمـل مـا قابلـت في حيـاتي وضحكـت مطـولا...

[ ] لندن ١٩١٧

[ ] كان الكولونيـل ريتشـارد داوني في اجتـماع عسـكري مـع قـادة في القـوات الحربيـة،، يتهيـأ للمهمـة التاليـة ،، وصلـه في تلـك اللحظـة خبر....غـير لـون وجهـه وتجمـد كصنـم مـن الرخـام ...انهـى اجتماعـه بتحيتـه العسـكرية ، غـادر فورا...مـن غـير ان يتفـوه بكلمة...اسـتغرب زمـلاءه مـن ردة فعلـه المفاجئـة

خصوصا ان الكولونيل شخص جدي و صارم لم يسبق له ان ترك فعل ذلك...

[ ] ايرلندا ١٩١٧

[ ] دخلت روز منزل جيرارد، اغمضت عينيها كأنه نومها مغناطيسيا، كأنه سرق من روحها شيئا كأنها دخلت في حضن احتواها وقلب حنون فتح لها أبوابه، كان منزلا دافئا يتدفق فيه الحنان والحب....

[ ] جلست روز جانب الموقد مع سترونغ الذي كان مبللا يرتجف بردا في حين أن جيرارد قام ليحضر بعض الشوكولا بالحليب والكعك الايرلندي لروز و طبق لكلبه الامين ...

[ ] في تلك اللحظات كان السير تشارلز يمشي مع ويليام في حقول البرتقال والليمون التي يمتلكها...وينظر إلى الأرض، مما ادى الى استفزاز الكونت ويليام، فهذا الأخير لم يستطع أن يتفوه بكلمة، لكن نظراته كانت شريرة وانفاسه تشرح قلة صبره، التفت السير نحوه وقال كيف حال ناتاشا وسيلفي وكاولين والبقية من حبيباتك ، توقف الدم في عروق ويليام وشحب وجهه فجأة ...فهو لم ينتظر ان يكتشف بهذه الطريقه، إذ ان كل علاقاته سرية وهوغ الوحش هو الوحيد الذي يعلم ذلك...تبعثم ويليام وقال عفوا جدي من ...ثم أعاد السير نفس السوال وقال له ..أنا سألتك وأنا ساجيبك ..انا من أسياد ايرلندا وهذا اقل شيء يصلني من مغامراتك الطائشة،،،ومع ذلك لم اتفوه بشيء لروز فقط من أجل الصغيرين لذلك يجب ان تغادر فورا والا اخبرتها على كل شيء ...لقد طفح الكيل...غادر السير تشارلز تاركا ويلبام تحت رحمة دموعه وصدمته ...يردد سوف تدفع الثمن يا أيها الوحش هوغ لقد انكشف امري بسببك أيها السكير المتعجرف...

[ ] كانت كلير متوجهة إلى بستان الزهور تردد في نفسها ماذا سيحصل هل ستخبر روز جيرالد بكل شيء ، هل لديها الشجاعة لذلك يا إلهي ...وهي تتكلم لوحدها رافعة رأسها تدعو للرب اصدمت بشاب كان متوجها هو أيضا لبستان الزهور ..احمرت وجنتيها وسحرت بوسامته وهو كذلك توقف لبرهة ناظرا اليها وكأن شيئا حدث فجأة حب من أول نظرة ...ترددت وقالت اسفة لقد كنت شاردة وقالت انا اسمي كلير من لندن وانت قال انا البرت من ايرلندا (لقد كان البرت صديق جيرارد هل تسمحين لي ان ارافقك اذا لم يزعجك الأمر، قبلت مباشرة اكيببببد فأنا متفرغة الآن وذهبا يتبادلا أطراف الحديث...في طريق ترابي بين الاشجار ...

[ ] كان جيرارد وروز مستلقيان امام الموقد وسترونغ غارق في نومه، بتحدثان عن مغامراتهم الطفولية وكأن الاثنتين نسوا السبب الذي أتى بهم إلى هناك ...كأنهم تحررو من الحبال والقيود،، كانو كطفلين في بداية الربيع بعفوية روحيهم الملائكة كأنهم غادرو هذا العالم المليء بالاحزان و الآلام فكل منهم اعطى الثاني حضنا احتواءا أخذهم إلى لحظة فقدو فيها التحكم بمشاعرهم...كانت لحظة توقف الوقت فيها ،تدفق فيها الحب والعشق ...لحظة تكسر فيها كأس الولاء ليستسلمو للحب...

[ ] مرت ست ساعات ...قامت روز بسرعة كان أرشيف حياتها مر بين عينيها، تذكرت طفليها...

كانت يجب أن تتخذ قرار اما العقل اوالقلب ..قالت هل كنت أحلم .لم اكن في وعيي،..بغ إلهي ماذا فعلت «»» فبالرغم من عدم حبها لويليام الا انها احست بعذاب ضمير...خجلت من نفسها وقالت انت امرأة راقية محترمة وعاقلة انت ام وزوجة رجل يعشقك.. لا يمكن لقلبك ان يتحكم بك..طلبت من جيرارد ان يتركها لتذهب وان ينسى ما حدث لانها ستغادر وربما لن تعود...تفاجأ جيرارد بذلك وقال ساطلبك للزواج وسامنحك كل السعادة لكن لن اسمح لك بتركي لأنني ساموت حقا...بكت روز وطلبت منه أن لا يتصل بها وأنها ندمت على ما حصل وأنها مغامرة لاتريد الاستمرار فيها...احس جيرارد بسكين في قلبه ...حتى انه لم يتمكن من إيقافها...ذهبت مسرعة ..الى فريدوم و اختفت...جلس جيرارد المسكين على ركبتبه والصدمة تاكله ..أخذ فاسا وقطع أجسام الشجر الذي كان يتوسط مخرج البيت...ويصرخ بشدة....ويقال لماذا لماذا ...؟؟ مرت روز على صهوة الفرسة كبرق ..لمحتها كلير والبرت من بعيد فقد كانو في طريق العودة...ورددو معا روز ...التفتو اثنتيهم لبعضهم وقال البرت هل تعرفينها ..قالت انها سيدتي وصديقتي

هي بمثابة اخت لي ...لم احس أبدا اني خادمة إلى جانبها لا انا ولا عائلتي ..والدها شخص طيب بالرغم من حدة طباعه أحيانا وأمها ملاك صديقة أمي أيضا انهم عائلتي حقا..ابنيها كأنهم مني اندهش البرت وقال:: ابنيها..؟؟ سكتت كلير وادركت انها تفوهت بما لايجب ان تقوله...امسك بها البرت هل لروز أولاد هل هي متزوجة... قالت اووف يالني من غبية..وانت من اين تعرفها...قال انها حبيبته اعز صديق لي جيرارد ...ردت كلير ماااااااذا ؟؟؟ سكتتا اثنتيهم وقالت ..البرت لا تسأل أذهب إلى جيرارد وانا إلى روز لابد أنه أكثر وقت سيحتاجوننا فيه...وذهبت مسرعة ....

لندن ١٩٣٠

ذهبت كلير رفقة براندي للمشفى ...كان ويليام قد غادر قبلها ببرهة ...استاذنت ودخلت كانت شارلوت تحمل الصليب وتشكر الرب على نجاتها وأنه منحها حياة ثانية لتهب روحها وحياتها للكنيسة....قبلتها كلير وطلبت من براندي الدخول .. استأذن وألقى التحية وقال ما اجملك انا ليتل براندي وانت شارلوت الهادئة ...تذكرت شارلوت اسمه على لوحة أمها روز وقالت انت صاحب اللوحة انت تعرف كل شيء ...وقامت ماسكة يده...قلي اين كانت تذهب أمي اين ...من اخدها مني من ... قلي وأخذت تصرخ بهستيرية ..الى ان اجتمع الأطباء لتهدئتها مع كلير ...التي طلبت من براندي المغادرة فورا....

لندن ١٩١٧

ذهب الكولونيل إلى منزله مسرعا ودخل إلى غرفته فوجد السيدة تتوسط الخدم والطبيب والأب كربس وليفري الذي كان يلقي الصلاة ...اخدها الكولونيل ريتشارد بين ذراعيه بقوة...وطلب منها أن لا تتركه هو وروز ...وطلب من الخادمة ان تبعث بريدا لوالديها السير تشارلز وسكارليت وابنتهما روز ....ايرلندا ١٩١٧

وصلت روز إلى المنزل ونادت على كلير مطولا...إذ انها لم تصل بعد...بعدها قامت هي بتجهيز حقائبها لانها كانت تود الرجوع بسرعه ...سالت الجدة عن الكونت ويليام لتعود معه ..سكتت

الجدة وطلبت منها ان تهدأ.. وصل الجد تشارلز ونادى على روز لكي تلحقه للمكتبة...توثرت روز وقالت ماذا هناك أيضا..نزلت ودخلت وجلست تنتظر جدها الذي كان يضع الحطب للتدفئة...ثم قال لها...هل تودين الاستمرار في التمثيلية يا ابنتي...لست مجبرة على تحمل ذلك الغبي المتهور المقامر...اطلبي فقط وانا ساساعدك.. سكتت روز قليلا وطاطات رأسها ووضعت راحتي يديها على خديها لتمسح بعض الدموع التي سقطت فجأة...ثم قالت لا يا جدي لن أترك ويليام.... هذه هي الحياة وهي من فرضت ذلك ..أحيانا يجب علينا التخلي عن أحلامنا لنرى من نحب سعداء ...فليس لدي القوة لاشتت عائلتي ...فأنا أرى عالمي كله في عيني هاري وشارلوت...كانت مغامرة شبابية لفتاة مراهقة. متاسفة جدي...جلس السير واخذ ينظر اليها وكأنه يعرف ما تعانيه من فراق جيرارد ...ثم قال .ارى في عينيك الجميلتين عكس ما تقولين ..قلبك يتالم وقلبه كذلك، لقد رأيت حبه لك وانا رجل يصيب حدسه دائما...جيرارد شاب شهم وطيب ويحبك...سيكبر ولديك وستندمين على قرارك هذا...ثم ان هذا لن يؤثر عليهم مازالو طفلين تستطيعين أخذهم لمدرسة داخلية ...هم اصلا يتالمون من رؤيتكم في شجار دائم. سكتت روز وقالت لا يا جدي.. سينتهي الم قلبي مع انتهاء الحرب ..ستشفى الجراح و وتعود الطيور ، ستطوى صفحات وتبقى ذكريات حنين نزورها من الحين للآخر...أفضل ان اضحي بحبي على ان اكون أما يخجل منها أبناؤها... اتتذكر يوم سألتك هل هناك مبرر يجعل اما تترك ابنها، لقد أجبتني بقلبك جدي مثل عادتك...

قال لها الجد: حسنا اتمنى ان لا تندمي على ذلك صغيرتي...قلت لك ذلك لأنني شخص بتبع قلبه مثلما تقولين وانا فخور بذلك، وهذا ما فعلت طيلة حياتي كان ملهمي، طريقي الذي يرشدني لأنني كنت اثق به ...انا أحببت جدتك وتزوجتها رغم معارضة اهلي...فهي كانت من عائلة فقيرة، لكن عندما عشقتها محيت هذه الخرافات العائلية والآن انا أسعد رجل في هذا العالم. لم اندم يوما على قراري...ردت عليه روز ..يا حبيبي يا جدي انا كنت سأفعل مثلك لو لم يكن لدي أولاد، خصوصا ان الحرب تجعل الإنسان يغتنم كل الفرص ليكون سعيدا فقط ليوم واحد ثم يموت إذا قدر له ذلك، الحرب تجعل القلب الحاكم الوحيد لأن الحياة تصبح اغلى ...لكن ذلك يختلف معي للأسف...يجب ان أعود يا جدي للندن الآن، خوفا من أن يتحكم بي قلبي،يجب أن لا أكون انانية...عانقها الجد وقال لها: لطالما وثقت في قراراتك رغم اني لم أوافق عنها يوما...ابتسمت روز والدمع على خديها لم يجف بعد، ثم قالت ،لكن اين ويليام، ؟ ساغادر معه...ضرب الجد بطرف عكازه الأرض وقال أما أنه في طريق لندن او أنه يصفي بعض الحسابات مع معارفه السكيرين...

وقال لها: لقد كنت الفتاة الهادئة ...المبتسمة،،كنت كوردة الزئبق التي تطوف على النهر، توقفت شارلوت عن البكاء ونظرت اليه والدمع يغلق عينيها الذابلة الحزينة، هذا ماكانت تقوله عنك امك روز ،،لقد كانت تحبكم حقا ...انت هاري وليدي...لا تستبقي الامور وحاولي ان تنظري إلى الامور من زاوية أخرى....يمكن اذا عرفت سبب رحيلها كنت أول من يدافع عنها، إنها امك التي ليس لديها من هو اغلى منكم صدقيني لم تكن تريد الهروب، لم تهرب، حسنا ... كانت ستزور شخصا وتعود لو لم تمت بحادث القطار ، لقد ضحت بسعادتها من اجلكم، تخلت عن أحلامها فقط لكي تفتخرو بها مستقبلا، هل تستحق المسكينة ذلك، ...لا استطيع اخبارك أكثر ...

لكـن اظـن ان هـذا كافي ...صمتـت شـارلوت ووضعـت رأسـها عـلى طاولـة الكـرسي فـوق ذراعيهـا ....لأن كلام برانـدي اثـر فيهـا وهـز شـيئا بداخلهـا ،، ذهبـت وغـادرت مـن دون ان تمـر عـلى الاب...وكأن مـا كانـت تبحـث عنـه ليـس ذلـك حقـا....

طـمأن الطبيـب العائلـة بـأن حالـة السـيدة إليزابيـث بخـير ..وكأنهـا معجـزة، وطلـب منهـم ان يتركوهـا لترتـاح قليلا...وقـال للكولونيـل، يجـب عليـك ان ترتـاح يـا سـيدي ...لقـد ظللـت معهـا يومـين مـن غـير ان تنـام أو تـأكل، تنفـس عميقا...إنهـا إمـرأة قويـة ...

وذهـب الـكل لـشرب الشـاي السـاخن لتهدئـة اعصابهم...قالـت روز لجديهـا، غرفتكـما جاهـزة استريحو قليـلا ...فالسـفر ومعنوياتكـم تعبـت بسـبب مـرض امي...صعـدت الجـدة إلى غرفتهـا... وبقيـت روز والسـير في حديقـة المنزل...تبسـم السـير تحـت انفـه بخفية،،،ثـم قـال لروز...أتعلمـين يـا صغـيرتي،،، لم أرى والـدك قـط في هـذه الحالـة ...لطالمـا قلـت انـه يذكـرني بجـدي انجـل هـاري في جديتـه وحـدة طباعـه وعصبيتـه وهيبتـه في المجتمع...اعلـم انـه يحـب ليـز (اليزابيـث) لكـن الآن أحسسـت بضعـف في نظراتـه وخوفـا مـن فقدانها...قالـت روز: انـه كذلـك يـا جـدي ربمـا لأنـك لا نلتقـي بـه كثـيرا ولبعـد المسـافة بـين ايرلنـدا ولندن..لكـن ابي شـخص حنـون وحسـاس مـن الداخـل فقـط انـا مـن يكتشـف ذلك...لقـد أحـب امـي كثـيرا وطالمـا تمنيـت ان أحظـى بـزوج اتقاسـم معـه الحـب الحقيقـي كالـذي عرفتـه مـع جـيرارد ...للأسـف يـا جـدي العزيـز...

لندن ١٩٣٠

وصلـت شـارلوت إلى المنـزل تحـت أنغـام مجموعـه موسـيقية وحضـور مـن طبقـة المجتمـع البرجوازية...ومدخـل تتسلسـل فيـه الـورود كقـوس مـن بـلاد العجائب...ذهبـت كلـير مسرعـة لتقـوم بتجهيزهـا لاسـتقبال المدعويـن...في تلـك اللحظـة كان برانـدي قـد لحـق بهـا بسرية...لأنـه أعجـب بهـا ورأهـا كلوحـة في مخيلتـه تحتـاج إلى بعـض الألـوان لتعـود اليهـا الحيـاة ....وبعـد عـشر دقايـق نزلـت كالاميرة وقـام الجميـع بمنحهـا الهدايـا الثمينـة لنجاتهـا مـن المـرض الـذي شـفيت منـه قبـل ان يتغلغـل بجسدها...سـحر برانـدي بجمالهـا وراى ليـدي تعانقهـا بحـب ابتسـامتها كمـلاك مـن الجنـة ...اندهـش لشـبهها الكبـير بـروز وانهمـرت عينـاه بالدمـوع وغـادر المـكان....

ايرلندا ١٩١٧

كان جـيرارد يتصبـب عرقـا مـن شـدة الغضـب وقـال لالـبرت يجـب أن اذهـب لاتاكـد ،كيـف لـروز ان تخفـي عنـي شـيئا كهـذا لااظـن سـاقتل هوغ...افضـل ان تتركنـي عـلى ان تكون ملـكا لغيرى...سـكت البرت ولم يـرد عليـه بكلمـة، أثـار تصرفـه ريبـة جـيرارد وسـأله ماالأمـر: ومـا الـذي يخفيـه تحـت صمتـه الغريـب هذا...حـاول الـبرت تهدئتـه لـكي يسـتطيع الـكلام ....وطلـب منـه أن يعـده بـأن لا يتـصرف بتهـور...ضرب جـيرارد نافـذة منزلـه الزجاجيـة وخنـق صديقـه ثـم قـال عليـك ان تخـبرني وليـس عـلي ان أعـدك بشـيئ... قـال الـبرت : امـس التقيـت بكلـير في طريقـي لحقـل الزهـور ...تعرفـت اليهـا مـن دون ان اعـرف إنهـا صديقتهـا...في طريقـة عودتنـا مـرت روز كالصاعقـة عـلى حصانهـا ...ظنـت كلـير انهـا حزينـة لاخبـارك الحقيقة...اوقـف جـيرارد الـبرت وقـال لـه اي حقيقـة ..لا تتلـف أعصـابي ....روز داوني سـيدة متزوجـة

مـن الكونـت ويليـام بلـير داوسـن ولهـا منـه ولـد وبنت...تكلـم الـبرت كأن العـالم والوقـت توقفا....جلـس جـيرارد بنظـرات التصقـت بأرضيـة منزلـه الخشـبية متوقفـا عـن الحـراك...

بعـد مـرور شـهرين ....زار هـوغ الوحـش الكونـت..في مكتبـه، ورائحـة الكحـول تفـوح مـن مخـارج فمـه النـتن،،، كان ويليـام في اجتـماع عسـكري...وتوثر فـور سـماع الخـبر ...اسـتأذن مـن الـكل لخمـس دقايـق وذهـب مسرعـا قبـل أن يـراه الكولونيل...خوفـا مـن أن ينسـحب في الحديـث عـن علاقاتـه السريـة مـع المومسـات...

كان الوحـش ينظـر إلى لوحات،جوائـر، اسـتحقاقات حصـل عليهـا الكونـت مـن خدمتـه وحنكتـه السياسـية والعسـكرية .... دخـل ويليـام ووضـع مسدسـه عـلى رأسـه وقـال: مـن أيـن اتتـك الجـرأة ان تحـضر إلى مكتبـي ايهـا الحثالـة ...كيـف لـك ذلـك...الم احـذرك مـن هـذا أولا...مـاذا تفعـل بانـدن.. تريـد موتـك حقا..اتعلـم اذا رانـا الكولونيـل هنـا مـاذا سـيحدث ...غـادر وإيـاك ان تعـود والا لـن تجـد مـن يدعـو عـلى روحك...أعدك...ضحـك هـوغ وأبعـد المسـدس مـن عنقـه اثـارت اعصـاب ويليـام الـذي تسـارعت أنفاسـه ولم يجـد مايفعـل خصوصـا أنـه بمكتبـه، (كان اسـمه وسـمعته امـام المجتمـع كرجـل نبيـل وفي لزوجتـه، لكـن أحيانـا يذهـب لاحتسـاء الـشراب مـع بعـض الأصدقـاء فالـكل يـدرك مأسـاته ومعاناتـه مـن رفـض روز لـه)... ...كيـف لـه تلـك الثقـة ليتـصرف هكذا...ثـم قـال لـه يالـك مـن مسـكين ايهـا الكونت....تمـضي حياتـك باخفـاء علاقاتـك خوفـا مـن والـد زوجتك...زوجتـك هـل تفكـر مثلـك ياتـرى هههههـه وضحـك ضحـكا مسـتفزا، تغـير لـون ويليـام إلى البنفسـجي مـن شـدة الغضـب وقـال: مـاذا تعنـي بكلامـك ...جلـس هـوغ ووضـع يديـه براحـة عـلى كتفـي الكـرسي الجلـدي الراقـي... ورجـلا عـلى رجـل كأنـه صاحـب المـكان: وطلـب مـن الكونـت كاسـا مـن الـشراب ليخـبره الحقيقـة....

لندن ١٩٣٠

بينـما برانـدي كان يغـادر، لمحتـه شـارلوت مـن بعيـد ....كانـت تعانـق ليـدي حينهـا وابقـت نظراتهـا عليـه بابتسـامة بريئـة كشـكر لمـا فعـل،

إذ تفاجـأ الـكل بتصرفاتهـا وكأن المـرض غيرهـا واحيـا فيهـا شـخصا آخـر او بالأحـرى شـخصها الحقيقـي الـذي كان مدفونـا بسـبب حزنهـا ولومهـا لامهـا كل تلـك السـنوات...

وأخـذت تغنـي مـع ليـدي اغنيـة ضـوء القمـر التـى لم تتوقـف عـن غنائهـا مـن الصبـاح تحـت ضحـكات الكل...احـس ويليـام بفـرح شـديد لرؤيـة شـارلوت بتلـك الحالـة ، و احتـار مـن سـبب سـعادتها وقـال في نفسـه...لقد تغـيرت منـذ أن سـمحت لهـا بـأن تصبـح راهبـة، لكـن تصرفاتهـا وضحكاتهـا وغناؤها مبالـغ فيـه، كنـت اظـن انهـا سـتأتي معانقـة للصليـب برفقـة الأب كريـس.. فعـلا غريـب...

لندن ١٩١٧

كانـت روز مـع السـير في الحديقـة يتبـادلا أطـراف الحديـث ...وسـألته عـن جـده انجـل صاحـب التمثـال والرسـالة ....الـذي كان كاتبـا عظيـما، يفتقـر لحـس الرومنسـية، جـل كتبـه كانـت عـن التاريـخ والسياسـية ، .عنصريتـه مـع الفقـراء وحديثـي الـثراء، سـألت جدهـا قائلـة:

كيف استطعت ان تترك كل شيء من أجل جدتي، من أين لك كل هذه القوة لتدافع عن حبك، رغم رفض جدك انجل هاري الزواج بها: قال لها: لقد شعرت بخوف شديد في اول الأمر وفكرت كثيرا، لم اكن اريد ان اخسر جدي، تراجعت عده مرات، وضعفت أيضا، لكن في يوم من الأيام التقيت صديقه المقرب الحكيم، كان كاتبا كبيرا أيضا ورساما ماهرا، لطالما تفاجأت بصداقتهما رغم اختلافهما الشديد، كان صديقه رومنسيا ، راقيا، يعشق قصص الحب ويقدسها، حدثني عن حب حياته التي ترك كل شيء من أجلها، وقال لي: الوقت كفيل بإصلاح كل شيء، كن سعيدا اتبع قلبك، إلا ويتقبل الكل ذلك، لكن كن مستعدا لفترة طويلة من الرفض لك ولحببتك، لكن سيحن يوما يرى احفاده، يركضون نحوه، اترك المنزل ، كن قويا، تعارك مع الحياة وانجح، مادام الحضن الذي سيرافقك ويحتويك هو حضن حبيبك...قرر ولك ان تقول لانجل اني من شجعك لا يهمني اذا تخاصمنا، ساصالحه بكاس...ولكن انت من يقرر حياتك ،،،، اتعرف لطالما وضعت قاعدة في عقلي: ... اذا حدث و ندمت مستقبلا على اختياراتي سأكون أكثر راحة وسلام من ندمي على اختيارات الغير لقرارت حياتي ...ولكن إذا عاد بي الوقت لتلك اللحظة كنت اخترت نفس الشيء لأني حظيت بحب حياتي ومسامحة اهلي في آخر المطاف....

قام صديق جدي: وضرب يده على كتفي ثلاث مرات كأنه يقول لي .....لا تتراجع. وغادر المكان.

مشيت حينها مطولا لاتخذ قراري، وفعلا فعلت وانت ترين الآن اني من أسعد الناس مع حب حياتي، اهدتنا الحياة اليزابيت، التي أحبها جدي كثيرا و ترك لنا قصره الذي اسكنه، كاعتذار لي... لقد كان صديقه على حق فعلا...

ايرلندا ١٩١٧

مر اسبوع ولم يغادر فيه جيرارد المنزل، لقد كان سترونج يواسيه ويلعقه من وقت لآخر، فكر طويلا وقرر أن لا يقوم بمحاسبة روز بما فعلت لكي لا يفكك اسرتها خصوصا أن لها أبناء، جهز لباسه العسكري وقال : سأذهب لاودع أمي كوليت والبرت وليتل براندي واتاهب للحرب...

كان ويليام يقفل على نفسه أيضا في مكتبه بعد ان اخبره هوغ بكل شيء، ويفكر بطريقة ينهي فيها عشيق زوجته من غير ان يحس أحد بشي...لأنه بالرغم من ذلك لم يرد ترك روز خوفا من هجره، أخذ يفكر والمسدس بين يديه، يحشوه بالرصاص ويفرغه، يحشوه ويفرغه، مركزا نظره على صدر الطاولة...رافعا حاجبيه، بوجه تعلوه الحمرة والألم...

رفع نظره إلى الباب هازا برأسه بعد أن وجد الحل...وقرر الذهاب إلى إيرلندا لتصفية حساباته...

لندن ١٩٣٠

ليست شارلوت فستانا ابيضا انيق، وقبعة وردية وقفازين، حملت حقيبة صغيرة وغادرت تحت دهشة الكل، سألها الكونت : اين تذهبين ؟ ردت إلى الدير»»» تجمد الكل على طاولة الأكل، فرحت ليدي، قبلتها وقالت لها إلى اللقاء أختي...فيما ان الكل استغرب طريقة تانقها التي لا تتناسب مع راهبة مستقبلية...

لندن ١٩١٧

فكـرت روز بمـا قالـه لهـا الجـد تشـارلز فـوق سريرهـا وهـي تحضـن شـارلوت وهـاري وتقبلهـما عـلى جبينهـما في نفـس الوقـت...لا تـدري مـا تفعل...ابنيهـا ام حـب حياتهـا الوحيـد الـذي ليـس لـه أحـد والـذي اعتـبر وجودهـا في حياتـه معجـزة. نزلـت الدمـوع مـن جانـب عينيهـا العسـليتان السـاحرة...ملامة نفسـها عـلى ذلـك.

لندن ١٩٣٠

وصلـت شـارلوت إلى الديـر وأخـذت تتجـول بحديقتـه كأنهـا تبحـث عـن شـخص معـين، رآهـا الاب كريـس ونـزل اليهـا، وطلـب منهـا الدخـول، كان ليتـل في غرفتـه يرسـم لوحـة جديـدة ...اتـت اليـه الام كوليـت واخبرتـه ان شـارلوت بالديـر، توتـر واحمـر وجهه...وقـال لهـا، ساغسـل يـدي وأراهـا لـدي رغبـة في أن نصبـح أصدقـاء...

مـرت نصـف سـاعة بعدهـا نزلـت شـارلوت، تتافـف، ولما رفعـت رأسـها وجـدت برانـدي عنـد مخـرج الديـر حامـلا لعصفـور صغـير و يطعمـه فـوق راحـة يـده الأخـرى ....متبـادلي لابتسـامات عريضة وسـعادة مـن اللقـاء ....

ايرلندا ١٩١٧

كان جـيرارد يغـادر المنـزل حامـلا حقيبـة، عـلى ظهـره، يقبـل سـتروتغ ويحضنـه بـين ذراعيـه، ويقـول سـتبقى مـع الـبرت، انتظـرني سـأعود ، أخـذ الكلـب يصـدر صوتـا حزينا،كأنـه يفهـم كل مـا يقوله...مـر عليـه هـوغ وقـال لـه رأسي ينتظـرك الم تقـل انـك ستقسـمه إلى نصفـين، وأخـذ يضحـك، لم ينظـر إليـه جـيرارد وتركـه لاسـتفزازاته الحقـيرة، كان ويليـام ينظـر لمـا يحـدث وبجانبـه رجـل نحيـل، تظهـر علامـات الإجـرام عـلى وجهـه المـليء بالنذبـات، ...وقـال الآن سـتقتل ذلـك الرجـل، وسـاعطيك مـا وعدتـك، قـال لـه مـن فيهـما الوسـيم ام البشـع هههههـه، قـال بـل البشـع لاتخلـص مـن الوسـيم...انا أرى أن لا أحـد سيشـك فالـكل يعـرف أن جـيرارد قـام بتهديـده مـرارا وتكرارا...امـام الـكل. خصوصـا في هـذه الزاويـة المنعزلـة...

بعـد مـرور شـهرين ذهـب الـبرت لرؤيـة جـيرارد بالسـجن...هو ، برانـدي والام كوليـت، أخـذ برانـدي يبـكي بشـدة ويلـوم نفسـه، كل ذلـك بسـببي أبي جـيرارد كان يدافـع عنـي، لأن الوحـش هاجـم عائلتـي و قتـل ابي االحقيقـي هـل هـذا صحيـح ...اسـكته الـبرت والام وقالـو هـو لم يفعـل انـه بـريء يـا صغـيري...لا تشـك فيـه ابـدا. سـتظهر الحقيقـة يومـا مـا لكـن لا تقـل ذلـك أمامـه ارجوك...انـه يحتـاج الينـا في هـذه الفـترة. يجـب ان تكـون قويـا...

لندن ١٩١٧

وصـل بريـد مزيـف مـن غـير عنـوان إلى روز قبـل شـهرين، يخبرهـا ان جـيرارد ذهـب إلى الحـرب ولـن يعود...حزنـت روز كثـيرا، ورأت أن ذلـك سـببا لتبقـى مـع ولديهـا ...وان ذكرياتهـا مـع جـيرارد كانـت اجمـل مـا حصـل لهـا طـوال حياتهـا.

بعد مرور ثلاث سنوات ...١٩٢١

أنجبت روز قبل سنتين ونصف طفلة اسمتها ليدي كانت تحملها و تكتب ذكرياتها في دفتر اخضر سري تخبئه مع الرسالة في صندوق خشبي دائري أهدي لها من جدها السير تشارلز، في غرفتها المطلة على حديقة الياسمين ...تلامس بطنها، تسهو وتتذكر جيرارد ...وتكتب.... حبيبي لقد انتهت الحرب ولم تعد، أين انت ، هل قتلت، سألت في كل المستشفيات و اسماء الضحايا ولم أجد أي اثر لك .. اتعلم لقد حدثت الكثير من الأشياء الجميلة، صديقك البرت ميركايل تزوج من صديقتي كلير واخدو هوب الأرنب الصغير معهم، كم هذا مضحك...وبراندي الصغير اصبح أكثر وسامة، لقد رسم لي لوحة مؤخرا مع هوب وسترونغ، احمل فيها تلك الرسالة التي كانت تثير فضولك...تركها جدي السير تشارلز لي قبل موته العام الماضي.. انني اعلق اللوحة بمنزلي...لقد أصبح البرتقالي مجعد الشعر رساما شهيرا في سن مبكرة... وابتسمت..ثم غابت ابتسامتها فجأة وقالت... اعرف اني اخفيت عنك الكثير من الحقائق حبا بك، لقد كنت أريد اخبارك لكن....حبيبي انا اقوم بدور الزوجة الآن،،، هجرت زوجي املة برجوعك بعد الحرب لكن لم ولم تعطني فرصة للشرح... كان هناك ماعلي اخبارك به، كنت ستسعد...

كان جيرارد وحيدا بالسجن يدفع ثمن جرم لم يرتكبه...ويكتب كثيرا،، كتب عده روايات ..وتركها فوق رف في زنزانته...يبعث لالبرت وكلير الرسائل للاطمئنان على روز بسرية تحت اسم ،،،» فريدوم سترونغ هوب..»» لأنه نادرا ما كانو يزورونه بسبب الأوضاع السياسية التي أدت إلى تقسيم ايرلندا في ١٩٢١ ...

كما انهم اضطرو إلى إخفاء الحقيقة على روز كي لا تتألم وتلوم نفسها هي الأخرى، كما فعل ليتل إلى أن يجدو دليلا يدين الجاني الحقيقي...لمقتل الوحش هوغ...

مرت الأيام، الشهور والسنوات، تحديدا في ١٩٢٦ ...كتب جيرارد ما يقارب ٢٠ رواية ...فالسجن أخرج فيه مواهب كانت مدفونة، لأن الوقت كان يمر ببطئ... فرغم قسوته ايقظ فيه شعورا وأحاسيسها والهاما جعله يصاحب القلم ...ليقتل ظلام السجن و ظلم الحياة له، أصبح حكيما صامتا، تغير كل شيئ في شخصيته المرحة والعفوية...حتى انه لم يحلم بالبراءة لانعدام الأدلة....لذا قرر البرت العمل عند الكونت بعد زواجه من كلير كبستاني... لسنوات أملا في وجود دليل يوصله للحقيقة....

في يوم ربيعي جميل تتناغم فيه أصوات الطير واصابع الشمس التي تداعب الورود، كانت روز وشارلوت ذات الاثني عشر عاما تقلما أظافر الياسمين الأبيض ...والبرت وكلير يلعبان مع ليدي الصغيرة ذات الثماني سنوات...وهاري يجمع الزهور ويضيف اليها بعض الأعشاب والماء ليصنع عطرا، كان في الثالث عشر من عمره يحلم بأن تكون له أكبر شركة للعطور بباريس ويقول لامه... سترين يا ايتها الحسناء روز ساهديك يوما عطرا باسمي هاري بلير داوسن ...كانت روز فخورة بامتلاكها اجمل عائلة ...اعطتهم من وقتها وحنانها ...كانت ترى ضحكاتهم ولعبهم ومزاحهم... وتقول...حسنا بما صنعت... هذه هي سعادتي الحقيقية...حقا. ماذا كان سيحدث لو سمعت لجدي

تشارلز و تركتهم...اظن ان حب جيرارد لي لم يكن كبيرا كحبي له، ربما كان مغامرة جميلة لم يسأل عني اصلا ...ولم يهمه امري اطلاقا، هل هو حي أو ميت هذا الشعور يقتلني...طالما كان هذا الكلام يمزق البرت داخليا، فيحاول اخبارها ثم يتذكر وعده لجيرارد باخفاء الحقيقة.... كانت روحه تتعذب وكيانه يفيض غضبا كلما رأى الكونت..(.كان حب جيرارد حبا عميقا لا يوصف، جعله يضحي بحياته من اجلها...لتكون سعيدة مع عائلتها رغم معرفته بجريمة زوجها ويليام الذي كان يزوره في السجن ليغيظه...)

في يوم من الأيام، قررت روز فتح رسالة انجل هاري والد السير تشارلز ...كانت رسالة حب دفنها بقلبه لسيدة من عائلة بسيطة عشقها في شبابه أراد إرسالها لها ليعلن لها عن حبه، لكن لم تحن له الفرصة ليخبرها بذلك ، لأن هذه الاخيرة تزوجت شخصا آخر ....فتركها له وفضل رؤية سعادتها من بعيد، إذ عبر عن ندمه مرارا في الرسالة عن ضياع أكبر حب في حياته،،،كانت رسالة سرية للجد الأكبر الذي كان يراه الناس عنيفا، بلا قلب، كاتب بارد لا يعرف شيئا عن الحب،،، تفاجأت روز بقراءتها للرسالة وأيقنت أخيرا كلمات الجد تشارلز لما كان ينصحها بأن لا تفوت فرصة حياتها لانها لن تعود ...كانت الرسالة مختومة بختم احمر يتوسطه قلبان ورأس امرأة...نظرت إليه مطولا ...مندهشة من تشابهه مع الختم الموجود في لوحات العجوز الثلاث...التي تجمع وجه الكاتب روبرت بلير داوسن جد جد(الجد الأول) ويليام بلير داوسن ، لقد كان هو نفسه صديق الكاتب انجل هاري جد السير تشارلز ورفيق دربه...ادركت ان المرأة صاحبة الرسالة التي عشقها جد جدها بصمت هي نفسها زوجة صديقه الذي فاز بقلبها وترك كل شيء لاجلها على عكس انجل...تذكرت روز وقالت انه الحكيم الذي نصح جدي حينها، إنه جد ويليام الأول ، يا لها من صدفة ....ذهبت روز راكضة إلى مكتبة الكونت واغلقت على نفسها...اقتربت من اللوحة وأخذت تنظر اليها لمدة تزيد عن ساعتين،،، لاحظت ان لوحة الجد البرت تحمل رسالة مكتوبة بين تجاعيد وجهه ...لم يصدر منها ....لا صوتا ولا انفاسا ،،،خرجت مسرعة من المكتبة ...قبلت هاري وشارلوت، عانقتهم وتركتهم يبكيان ، ذهبت إلى ليدي ... حضنتها بقوة وقالت لها انا احبك يا ابنتي،، انتظريني أعدك بأني سأعود ..امانتهم عند كلير، ثم ذهبت من دون ان تاخذ معها شيئا...

لندن ١٩٣٠

كان جيرارد مستلقيا يحمل وشاحا بقي له من حبيبته روز ...منعزلا يشمه ويبكي موتها... كانت في طريقها إلى إيرلندا بحثا عنه...عندما اصطدم قطارها بقطار آخر ...كتب عدة كتب تحمل اسمها، منها «» اسطورة قلبي «» تحت شجر الزيتون..»»

لندن ١٩٣٠

أصبحت لقاءات شارلوت ببراندي كثيرة، غيرت نظرتها إلى الحياة ....كانا يجلسان تحت ظلال الشجر...ثم قال لها ضعي راسك واستلقي، وأخذ يمسح على شعرها، ثم قال ...اريد ان اعترف لك بشيء...انا احبك..

نهضت شارلوت وجلست مجددا ونظرت إليه والرياح تتلاعب بشعرها، ثم قالت ..ماذا؟

توثرت وأرادت المغادرة...امسك براندي بيدها وقال: هل مازالتي تريدين ان تصبحي راهبة... انا احبك واريد ان اتزوجك...ثم قام هو أيضا و تكلم معها بجدية ماسكا بذراعيها بنظراته العميقة المغرمة...ساغادر وارحل ولن تري وجهي ثانية... لدا قرري قبل الغد والا فلن تجديننني...

لندن ١٩٢٦

بعد وفاة روز بخمس شهور...قرر ويليام إرسال هاري إلى باريس ليدرس فنون العطر...واصبح البيت كبيت الاشباح... كان البرت وكلير يلوما نفسيهما على عدم اخبارها ببراءة جيرارد، و تضحياته من أجلها.... قال البرت :هذا الخبر كان سيخفف عنها المها ...لقد ماتت دون ان تعرف الحقيقة ...ربما كانت متوجهة لتبحث عنها...ربما معرفتها بان حبيبها على قيد الحياة كان سيكون بلسما لجراحها وأنه لم يتركها يوما رغم تخليها عنه ،.يالنا من انانيين...كانت ليدي الصغيرة تقف أمام لوحة روز حاملة دبها الصغير وتنادي عنها لتعود...كما وعدتها. وشارلوت...صامتة تلوم امها روز.... لأنها كانت تدرك أنها ستذهب عند شخص آخر..وتردد انها كانت ستتركهم ...وتقول : لقد ناديتها ولم تلتفت حتى، ذهبت.. وانا اصرخ وابكي ....لماذا فعلت ذلك والقسوة ترسم حدة في عينيها الدامعتين الحزينة ....

قبل ستة أشهر

كانت روز رفقة ابنائها الثلاث في بيت والدها ريتشارد، الذي تقاعد بعد الحرب، واخذوا ينظرون إلى البوم الصور ، ويتذكرون معا احلى الاوقات ....

عاد ويليام باكرا إلى المنزل، ودخل من دون ان يشعر به البرت وكلير اللذان كانا في المطبخ.... أغلق على نفسه في غرفة روز التي كانت تنام بمفردها، وأخذ يبحث عن صندوقها الخشبي، وجده تحت غطاء الدانتيل بين وسادتيها القطنية ...حاول فتحه بأداة حديدية كابرة كبيرة الحجم، فتحه، ووجد دفترها الشخصي والرسالة....

بعد مرور ثلاث ساعات عادت روز إلى المنزل، كان ويليام يحتسي الشاي كأن شيئا لم يحدث... حضن ليدي ثم وضعها على كتفيه وأخذ يجري ويلعب معها ويعض رجليها الصغيرة ....وروز تنظر اليهما بسعادة ....احست شارلوت بغيرة وذهبت إلى المطبخ ...(كانت تحب الأكل في صغرها وسمينة بعض الشيء...) وهاري هادئ يقطف الزهور كعادته...

لندن ١٩١٨

كان يوما عاصفا في أواخر اليل، قبل نهاية الحرب بشهر، اتى شخص غريب ليبحث عن الكونت في منزله، يضع قبعة سوداء طويلة كقبعة السحرة، ومعطفا اسود يتدلى مع الارض، نظارتين دائريتين تخفي وجهه النحيل، فتحت كلير الباب، والبرق يحدث ضوءا مخيفا خلفه، احست بالرعب من شكله، قال لها: اريد ان اقابل ويليام الآن، ذهبت إلى الكونت الذي كان بمكتبه كعادته، واخبرته خرج فورا ليرى ذلك المجرم أمامه، تجمد الدم بوجهه... وطلب منه مرافقته للمكتبة...

دخلا معا....وأغلق الباب...لم يجلس الرجل ولم يقل كلمة وأخذ يحوم بمكتبة ويليام، ويلمس

حاجياتـه الثمينـة ويقـول، اتعلـم ....في صغـري اردت ان اصبـح نحاتـا أو رسـاما، لكـن بعدهـا اصبـح الـدم شـغفي لهـذا اقتـل بـدم بارد...شـعر ويليـام بشـيئ مـن الخـوف ثـم قـال ....مـاذا تريـد وكيـف لـك ان تـأتي الى هنا...لقـد اعطيتـك ماطلبـت، ضحكالرجـل الغريـب وهمـس في أذنـه، اريـد شـايا أريـدك أن تحـضره بنفسـك، وإلا قتلتكـم جميعـا ارتبـك ويليـام مـن طلـب الرجـل الغريـب قاتـل هـوغ ..الـذي كان ينظـر إلى لوحـات العجـوز المعلقـة، ويلامسـها بانفـه الطويـل مـما أثـار رعبـا شـديدا لويليام،،،وقـال كيـف لي ان احـضر الشـاي وانـا سـيد المنـزل.... سيسـتغربون الأمـر، اطلـب شـيئا آخر...وسـالبيه قـال .... اذن احـضرلي الشـاي ،،، التفـت إليـه وأخـذ ينظـر إليـه واضعـا نظارتـه عـلى طـرف انفه...وسـكين حـاد بـين اصابعـه يمسـحه عـلى خديه...ذهـب الكونـت إلى المطبخ،،، وطلـب مـن كلـير ان تعطيـه المـاء ليحـضر الشـاي لضيفه....اخـذت تنظـر اليـه، كانـت يـداه ترتجفـان، جلسـت تدعـو الـرب وقلبهـا ينبـض بسرعـة ....طلـب منهـا الكونـت ان لا تخـبر أحـدا بمـا رأت....حتـى الـبرت والا سـيطردهما....هزت رأسـها موافقـة مـن دون ان تنطـق بكلمـة...

دخـل ويليـام إلى المكتبـة ولم يجـد الرجـل... رمـى فنجـان الشـاي ارضـا ، اخـد مسدسـه ،، خوفـا مـن ان يـؤدي أحـدا بالبيت،،،ثـم رآه يغـادر عنـد مخـرج بـاب الحديقـة الرئيسي...تنفـس الصعداء...ونزلـت روز مسرعـة تسـأله مالامـر، حضنهـا بقـوة قـال لهـا: سـمعت صـوت ذئب...ليـس هنـاك شـيئا يدعـو للخـوف ثـم قالـت: تصرفاتـك تقـول العكس...ثـم طلـب منهـا ان تعـود للنـوم ...

لندن ١٩٣٠

كان برانـدي يجهـز نفسـه للمغـادرة، والام رينـوا تبـكي وتقول...انـت ايضـا سـتتركني، اعلـم ان عملـك يفـرض عليـك ذلـك، لكـن ساشـتاقك كثيرا....وضعـت لـه بعـض الحلـوى بحقيبتـه وأعطتـه البركة....كانـت شـارلوت في غرفتهـا وقلبهـا يـكاد ينفجر....وتقـول اريـد ان امنـح حيـاتي للـرب لا يجـب أن يتحكـم بي قلبي...تقولهـا وترددها...ثـم تبكي...وتتذكـر ماقالـه برانـدي....

بعـد مـرور سـاعتين كان ليتـل امـام باخرتـه المؤديـة إلى فرنسـا ينظـر مـن حولـه ويتثاقـل في الصعـود ...وضـع قبعتـه الرماديـة عـلى شـعره المجعـد، رأى فجـأة شـارلوت تحمـل لوحـة تركهـا لهـا في الديـر قبـل ان يغـادر ....(ذهبـت شـارلوت للديـر قبـل سـاعة ونصـف وقـررت أن لا تخـسر حبها...اعطتهـا الام اللوحـة التـي رسـمها لهـا وطلبـت منهـا اللحـاق بـه، كانـت لوحـة لهـا بابتسـامة تتوسـط الزهـور) ثـم نـزل مسرعـا اليهـا....

كان الـبرت ينظـف الحديقـة ويفكـر في طريقـة توصلـه للحقيقـة... وقـال ..انـا متاكـد ان مـا ابحـث عنه...هنـاك ،،،خلـف لوحـة العجـوز .... اعـدك يـا صديقـي بـأني سـاخرجك مـن السـجن...

ويقـول بعـد غـد سـيذهب الكونـت إلى حفـل زفـاف صديقـه البديـن ديميـتري، صاحـب منجـم الذهـب ،، اكيـد أنـه سـيظل طويـلا ...انهـا فرصتي...لكـن كيـف لي ان اجـد طريقـة ابعـد بهـا الـكل... حسـنا ستسـاعدني كلـير في ذلـك...

كان الجـو صافيـا كأن الجنـة ترسـل رسـائل بـأن مـا يـأتي هـو دائمـا الاجمـل....وان الأحـزان وان طالـت

الا ونافذة الأمل تبقى مفتوحة لتبعث ريحا كمفتاح يفتح ابواب السعادة على مصراعيها...

تانق ويليام كعادته للذهاب لحفل زفاف صديقه ، والمصمم الإيطالي يضع له رباط العنق ...ويصفر اووو ماماميا لم تفقد وسامتك أبدا منذ ان عرفتك...والبرت ينتظر بفارغ الصبر....بعد ان طلب من كلير ابعاد الكل واخذهم في نزهة للتسوق....لشراء بعض الهدايا لليتامى ...

جهز السائق جاك سيارة الكونت وفتح له الباب...وغادرو...

كان البرت ينتظر إلى أن تختفي السيارة عن الأنظار ....ثم دخل إلى المكتب....

اخذا اداة من أدوات تقليم الشجر ...لقد كان بارعا في فتح الاقفال وغلقها...(.لأنه تعلم الكثير في الجيش مع جيرارد وكانو يتنافسون على ذلك كثيرا)

دخل بسرعة، واقترب من اللوحات، التى أثارت فضوله مؤخرا....وضعها فوق الطاولة وفتح الخزينة...وجد فيها الكثير من الاوراق وفوقهم صندوق روز الخشبي ...اندهش البرت وأخذ الصندوق وفتحه ليجد دفتر مذكرات روز ورسالة الجد انجل....اخذهم وخباهم في جيب لباسه الكبير واغلق الخزنة....أثناء إعادته للوحات لمح شيئا غريبا بين تجاعيد الجد كنحت دقيق يشكل رسالة...اقترب ....توقف قلبه وجلس فوق الطاولة وأخذ يتنفس ثم قام وقرا مجددا....»» انا سام بيلينو، الملقب بالشبح، قاتل هوغ بأمر من الكونت ويليام، جيرارد ماكس بيكر رجل بريئ يدفع ثمن جريمة لم يرتكبها، هذه رسالتي من الجيد اني اجيد النحت اعرف انه لن ا يكتشفها هذا الكونت الغبي... لذا يجب أن يدفع ثمن جريمته...»» لقد كتبها اثناء زيارته الكونت في ذلك اليوم العاصف...وقت صرفه ويليام لتحضير كوب الشاي»»

خرج البرت مسرعا والسعادة والدهشة تملان وجهه.....ادرك ان سبب ذهاب روز فجأة هو اكتشافها ان جيرارد لم ينسها وأنه يدفع ثمن جريمة زوجها الكونت ...»»»

بعد مرور ست سنوات

باريس ١٩٣٦

أصبحت ليدي فتاة حسناء ..تشبه روز كأنهما توأمان وليست ابنتها...كانت يومها تجلس في مقهى بباريس تكتب مذكرات لوالدتها روز...

وتقول :

امي، حبيبتي، زهرتي، ملاكي، اعلم انك سعيدة جدا وتنظرين الي من السماء ....اشعر بدعواتك لنا...وباحضانك الحنونة...

لقد كبرت ...وصرت شابة، انا الآن ادرس تصميم الأزياء، اطمح لان اصبح كاتبة مثل والدي، ...اصبح هاري يملك ماركة مشهورة للعطور ، تزوج من ممثلة جميلة جدا، لكن تاسفت على بريجيت التي كانت تعشقه سرا. اتمنى ان تجد حب يعوضها على ذلك.....شارلوت وليتل تزوجا وليدهم ابنة اسمياها روز...وابي اصبح كاتبا مشهورا تباع كتبه في كل أرجاء العالم....الكل احترم

قصة حبكما، لقد أصبحت مثالا للعشاق... ..ابي يحبك بصدق، لم يتعرف على امرأة أخرى لأن حبك حي في قلبه محفور إلى الأبد، ليس بمفرده الآن كما كان سابقا...كتب عني مؤخرا كتاب إسمه «»» ابنتي»»» انا الآن اكتب لك واحتفظ بدفتر مذكراتك ...وأقول لك ....ارتاحي بسلام ساهتم به وسأكون بجانبه دائما، احبك ...

ps : »»ليدي واتس بيكر»»».

«»».....لقد كانت ليدي الجميلة والطيبة ثمرة حب روز و جيرارد التي اكتشفها البرت ميركايل بمذكراتها السرية بعد ان اخفاه الكونت ويليام عن الأنظار، فرغم اكتشافه للحقيقة ورغم جريمته، كان حبه لروز مقدسا إلى حين انتحاره في السجن .....»»

انتهى...

ايمان بيه الجزائر

الفهرس

صيحة استغاثة ٥
أحبتني جنية ٩
أوهام سعيدة جداً تعيسة للغاية ١٥
بحيرة الأموات ٢١
شيزوفرينيا عراقية ٢٧
صَقِـــيع ٣٥
عم فتحي ٣٧
فَيْرُوبَكْتِيرْيَا الحُّب ٤٣
الذوق الخاص ٥١
قصر الغول ٥٧
لا تـــقرأ ٦١
ليلة الخرجة ٦٥
هلوسات هاورد ٦٧
خريف السنديان ٧١